وصايا رمضانية (7)

وصايا عامة

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصايا رمضانية

(7)

وصايا عامة

الشيخ/ندا أبو أحمد

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وصايا عامة

الوصية الأولى: أوصيك بالإنفاق وكثرة الجود في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان:

فلا تبخل أخي الحبيب في رمضان ولا في غيره من الإحسان والجود والبذل والعطاء، ومما يدفعك لذلك، هو أن تقف على فضائل الصدقة ومكانتها في الإسلام.

1- الصدقة بُرهانٌ وعلامةٌ على صحة إيمان العبد.

2- الصدقة طريق للفوز بمحبة الله ورحمته ورضاه.

3- من تصدق بصدقةٍ يخلف الله عليه بأفضل منها.

4- المتصدق من كسبٍ طيبٍ يقبلها الله ويربيها له حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل.

5- الصدقة سبب للشفاء من الأمراض الجسدية والنفسية.

6- الصدقة نجاة من الخسران والبوار. **7- الملائكة تدعو للمنفق المتصدق أن يخلف الله عليه.**

8- الصدقة هي مال الإنسان الحقيقي التي يؤجر عليها، وهي الباقية عند الله تعالى.

9- الصدقة تقي مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب. **10- المتصدق يسعى لفكاك نفسه من الهلاك.**

11- الصدقة تكفر الذنوب والخطايا. **12- المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة.**

13- الصدقة وقاية وحجاب من النَّار. **14- الصدقة سبيل لدخول الجنة.**

15- الصدقة تدخل الإنسان الجنة من باب الصدقة.

الوصية الثانية: أوصيك بإطعام الطعام في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان:

1- إطعام الطعام سبب في اقتحام العقبة. 2- إطعام الطعام من أفضل الأعمال عند الله تعالى.

3- خير الناس من يطعم الطعام. 4- إطعام الطعام أجرُه كبيرٌ، وهو مدخورٌ عندَ ربِّ العالمين.

5- إطعام الطعام يلين القلب القاسي.

6- إطعام الطعام يقبله الله تعالى وينميه لصاحبه حتى يكون مثل الجبل.

7- إطعام الطعام من وصايا الرسول ﷺ. 8- إطعام الطعام حرز من النار.

9- إطعام الطعام يثقل الميزان يوم القيامة. 10- إطعام الطعام سبيل لدخول الجنة.

11- إطعام الطعام رفعة في درجات الجنة.

12- إطعام الطعام ليس فقط سبيل لدخول الجنة فقط، بل هو سبيل لسكن غرف الجنة.

13- من أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة.

نصيحة وتنبيه: من صور إطعام الطعام: إطعام الصائمين:

الوصية الثالثة: أوصيك بكثرة الدعاء في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان:

1- الدعاء عبادة. 2- الدعاء أكرم شيء على الله.

3- أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره عز وجل. 4- الدعاء يجعل العبد في معية الله تعالى الخاصة.

5- الدعاء سبب لدفع غضب الله تعالى. 6- الدعاء دليل على التوكل على الله.

7- الدعاء يرد القضاء ويُدفع به البلاء بإذن رب الأرض والسماء.

8- الدعاء سبيل للسلامة من الكبر في الدنيا، والعذاب في الآخرة. 9- الدعاء لا يهلك معه أحد.

- الدعاء سبب لتفريج الكرب. 11- الدعاء دليل على الكياسة ورجحان العقل والسلامة من العجز.

12- الدعاء روح العبادة، وأصل الدين.

13- الدعاء شعار الأنبياء والمرسلين، وسبيل النجاة والفوز في الدنيا ويوم الدين.

14- الدعاء شعار عباد الله المتقين. 15- الدعاء واستخراج مكنون العبودية.

16- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفعه بعد نزوله.

17- الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين.

18- الدعاء دليل على سمو النفس، وعلو الهمة. 19- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها.

20- الدعاء سبب لحصول المودة بين المسلمين. 21- الدعاء سبب لانشراح الصدر.

22- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء. 23 - تُنصر هذه الأمة بدعوة الضعفاء.

24- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

25- الدعاء سبب لمغفرة الذنوب. **26- وأخيرًا: الدعاء وصية النبي ﷺ لأمته.**

27- الدعاء مفتاح السعادة، وأصل كل خير.

وأخيرًا أخي الحبيب... عليك أن تكثر من الدعاء في رمضان:

أخي الصائم لا تنس الدعاء في هذه المواطن:

أ- عند رؤية الهلال. **ب- الدعاء في وقت الصيام.** **جـ- الدعاء عند الفطر.**

د- الدعاء وقت السحر. **هـ- الدعاء ليلة القدر.**

الوصية الرابعة: أوصيك بكثرة الذكر والاستغفار في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان:

والذكر له فضائل كثيرة، وفوائد عظيمة:

1- الله تعالى يذكر من يذكره. **2- كثرة الذكر سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة.**

3- كثرة الذكر سبب للمغفرة والأجر العظيم. **4- الذكر راحة وطمأنينة للقلب.**

5- والذكر وصية النبي ﷺ. **6- الذكر من أحب وأفضل الأعمال إلى الله تعالى.**

7- الذكر سبب لمحبة الله تعالى.

8- ذكر الله هو أفضل الأعمال عند الله وأزكاها، وخير من كثير من أعمال البر.

9- الذكر خير ما يكنِز الإنسان.

10- أهل الذكر تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتتنزل عليهم السكينة.

11- الله تعالى يصلي هو وملائكته على أهل الذكر.

12- الذكر سبب لراحة البال وطمأنينة القلب. 13- بالذكر تُفتَحُ أبوابُ السماء.

14- الذكر سبب لإجابة الدعاء. 15- كثرة الذكر أمان من النفاق.

16- الذكر أمان من اللعن. 17- الذكر أفضل من الدعاء.

18- الذكر يزيل الهم والغم، ويجلب للقلب الفرح والسرور. 19- الذكر حياة للقلوب والأبدان.

20- الذكر يعطي قوة للذاكر في بدنه. 21- الذكر شفاء لقسوة القلب.

22- الذكر يحفظ على الإنسان جوارحه.

23- الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والغش والبهتان وغير ذلك من آفات اللسان.

24- لا يخيب الذاكر مع الذكر. 25- الذكر يطرد الشيطان.

26- الله تعالى يعطى على الذكر ما لا يُعطي على غيره. 27- الذكر يجمع للعبد دنياه وآخرته.

28- أهل الذكر هم أهل الكرم. 29- أهل الذكر يباهي اللهُ بهم الملائكة.

30- الذكر يجعل صاحبه له السَبق في الدنيا والآخرة. 31- الذكر يغفر الله به الذنوب.

32- الذكر يكتب الله به الحسنات. 33- الذكر سبب للنجاة من عذاب الله.

34- الذكر أمان من الحسرة يوم القيامة. 35- الذكر يثقل الموازين.

36- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن. **37- الذكر سبيل للفوز بالجنة.**

38- الذكر غراس الجنة. **39- أهل الذكر لهم مكانة عند الله يغبطهم عليها النبيون والشهداء.**

أما بالنسبة للاستغفار، فالاستغفار له فضائل كثيرة وفوائد عظيمة، ومنها:

1- الاستغفار سبب لدفع المصائب ورفع البلايا. **2- طوبى لأهل الاستغفار.**

3- الاستغفار ملجأ يفزع إليه المؤمنون عند رؤية الآيات الكونية التي يخوف الله بها عباده.

4- الاستغفار سبب لسعة الرزق وكثرة النسل ونزول الغيث من السماء.

5- الاستغفار سبب لحصول القوة في البدن وسعة الرزق.

6- الاستغفار سبب لسلامة القلب وصفائه ونقائه.

7- من أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار.

8- الاستغفار صدقة تتصدق بها على نفسك. **9- الاستغفار سبيل لنيل رحمة الله تعالى.**

10- الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب. **11- الاستغفار سبيل للنجاة من عذاب الله.**

12- الاستغفار سبب لدخول الجنة. **13- الاستغفار سبب لرفع الدرجات.**

الوصية الخامسة: احرص على عمرة في رمضان:

العمرة في رمضان يتعاظم فضلها حيث تعدل في الأجر؛ أجر حجة مع النبي ﷺ:

الوصية الأولى: أوصيك بالإنفاق وكثرة الجود في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان[1]:

النبي ﷺ هو حبيبنا، وإمامنا، وقدوتنا، وأسوتنا، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: 21)

وقد جاء في التفسير الميسر: " لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال ". اهـ

والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد أن الجود والعطاء والإنفاق من أكثر سجاياه، وما كان يدخر شيئًا عنده من خير عن الناس، وما سئل شيئًا قط فقال: لا.

أخرج البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: أنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النبيَّ ﷺ ببُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ ما البُرْدَةُ؟ قالوا: الشَّمْلَةُ، قالَ: نَعَمْ، قالَتْ: نَسَجْتُهَا بيَدِي فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا، فأخَذَهَا النبيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إلَيْهَا، فَخَرَجَ إلَيْنَا وإنَّهَا إزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ، فَقالَ: اكْسُنِيهَا، ما أَحْسَنَهَا، قالَ القَوْمُ: ما أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النبيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وعَلِمْتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ، قالَ: إنِّي واللَّهِ، ما سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهُا، إنَّما سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ ".

الشاهد هو قول الصحابة:" وعَلِمْتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ ".

1- هناك رسالة للمؤلف عن" فضل الصدقة" ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمورٍ.

– وفي الصحيحين من حديث جابر ﷺ قال:" ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ، فَقالَ: لَا ".

– وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ علَى الإسْلَامِ شيئًا إلَّا أَعْطَاهُ، قالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فأعْطَاهُ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِهِ، فَقالَ: يا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ ".

– وفي رواية:" فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ ".

وقد أحسن القائل حيث قال:

تعوَّدَ بسط الكفِّ حتى لـو أنـه ثناها لقبضٍ لـم تُجِبـهُ أنامِلُـهُ

تـرَاه إذا مـا جئتـه متهـللا كأنَّك تُعطيهِ الـذي أنتَ آمِلُـهُ

ولو لم يكن في كفه غيرُ رُوحِهِ لجـاد بهـا فليتقِّ اللهَ سائلـهُ

هو البحر من أيّ النواحي أتيتَهُ فلُجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهُ

هذا حال النبي ﷺ حيث الجود والكرم والبذل والعطاء، ويزداد هذا العطاء والإحسان والجود في رمضان.

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما– قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجوَدَ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ ".

– وفي رواية:" كان رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناسِ بالخيرِ، وكان أجودَ ما يكون في شهرِ رمضانَ حتى ينسلِخَ، فيأتيه جبريلُ فيعرضُ عليه القرآنَ، فإذا لقِيَه جبريلُ كان رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ بالخيرِ من الرِّيحِ الْمُرسَلَةِ ".

ويستفاد من قول ابن عباس– رضي الله عنهما:" أجودَ بالخيرِ من الرِّيحِ الْمُرسَلَةِ " سرعة مبادرته ﷺ في الجود والإحسان في رمضان، واستنفاع الجميع بذلك كما هي سرعة الريح المرسلة، وعمومها لجميع ما تهب عليه.

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" الفتح:139/4":" قال الزين بن المنير–رحمه الله– في شرحه للحديث:" أي: فيَعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ".

وقال الشافعي–رحمه الله–:" أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء بالرسول ﷺ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، وانشغال كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم ". **(السنن والآثار للبيهقي:7/ ٢٠٣)**

والعطاء والبذل والإحسان يزيد في رمضان لأسباب، منها:

1– شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

2– إعانة الصائمين، والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا. **وفي الحديث الذي رواه أبو داود والبيهقي من حديث زيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا ".**

3– أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما ليلة القدر. والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، **كما قال ﷺ:" إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاء".** (رواه البخاري) فمن جاد على عباد الله؛ جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

4- أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، **كما في حديث الذي رواه الترمذي من حديث عليّ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ". قالوا: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لِمَنْ طَيَّبَ الكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ". (صحيح الجامع:2123)**

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن: الصيام، والقيام، والصدقة، وطيب الكلام، فإنه ينهى الصائم عن اللغو والرفث. والصيام، والصلاة، والصدقة، توصل صاحبها إلى الله عز وجل.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟" قَالَ أَبُو بكْرٍ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟" قَالَ أَبُو بكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

5- أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضمَّ إلى ذلك قيام الليل، **فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال:" الصيام جنَّة ". (رواه البخاري ومسلم)**

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث معاذ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" الصَّدَقَةُ تُطْفِئ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ". يعنى أنه يطفئ الخطيئة أيضًا. **(صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٠٩)**

وفي الحديث الذي رواه البخاري أنه ﷺ قال:" اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة ".

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول:" صلُّوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يومًا شديدًا حرُّه، لحرِّ يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشرِّ يوم عسير ".

6- أن الصيام لا بدَّ أن يقع فيه خللٌ ونقصٌ، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث. **(لطائف المعارف ص:283)**

فلا تبخل أخي الحبيب في رمضان ولا في غيره من الإحسان والجود والبذل والعطاء، ومما يدفعك لذلك، هو أن تقف على فضائل الصدقة ومكانتها في الإسلام[1].

1- الصدقة بُرهانٌ وعلامةٌ على صحة إيمان العبد:

والصدقة لغة تلتقي مع مادة "الصدق" في أصل المادة، وفقه اللغة يؤكد ارتباط المادة بجميع ما تفرع عنها. **وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو[2]، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا[3] أَوْ مُوبِقُهَا[4]".**

والشاهد هو قول النبي ﷺ:" وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ" والبرهان هو الدليل على صدق المدَّعي وصحة إيمانه، فالصدقة برهانٌ على صدق إيمان المتصدق بالله، وتصديقه بوعد الله على ما وعد من جزاءٍ وعِوَض، فما يدفع النفس الشحيحة بطبعها، المحبة للمال بفطرتها، ما يدفعها إلى الإنفاق في كل حال، إلا دافعٌ أقوى من شهوة المال، وهو صحة يقينه بأن الله يُخلف عليه، وأنه على الهدى ما دام يتصدق، وأنه مؤمن بوجود الآخرة وما تتضمنه من

1- هناك رسالة للمؤلف عن فضل الزكاة المفروضة وصدقة التطوع تجدها في سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل".

2) يَغْدُو: يصبح أو المقصود به النهار.

3) مُعْتِقُهَا: أي من العذاب والعقاب.

4) مُوبِقُهَا: أي مهلكها.

المجازة لأنه لا يُقدم على بذل المال المحبوب للنفس إلا من أيقن بالثواب يوم القيامة، ولهذا تصدق أبو بكر بجميع ماله، ووفى ﷺ بتمام الصدق، فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله. وهذا بخلاف الممسك البخيل ففي إيمانه نقص، وفي يقينه خلل، **ولهذا قال محمد بن عبَّاد بن حبيب –رحمه الله–:**" مَنْعُ الموجُود سُوءُ ظنّ بالمعبود".

2– الصدقة طريق للفوز بمحبة الله ورحمته ورضاه:

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ **(سورة البقرة: 195)**

والله تعالى يخلف على المحسنين ولا يضيع أجرهم، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. **(التوبة:120)**

وأخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَوَّادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا ". (صحيح الجامع: 1744)

وعند الطبراني في الكبير والحاكم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَّادٌ يُحِبُّ الْجُوَدَةَ، ويُحِبُّ مَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا ". (صحيح الجامع: 1800)

3– من تصدق بصدقةٍ يخلف الله عليه بأفضل منها:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ **(سبأ: 39)**

يقول الحسن البصري–رحمه الله–:" من أيقن بالخلف جاد بالعطية ".

فكل من ينفق شيئا لله فإن الله تعالى يُعوضه خيرًا منه، فإن ينابيع خزائنه لا تنضب، وسحائب أرزاقه سحاءُ الليل والنهار، وكلما أنفقت، أنفق الله عليك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" قَالَ اللَّهُ– عز وجل–:" أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ". – وفي رواية:" أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ".

فمن الذي سينفق عليك؟ إنه الله الكريم العظيم الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فإذا أنفق عليك أكرم الأكرمين فكيف سيكون العطاء؟!

وقال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن:17)

كان يحيى بن معاذ الرازي–رحمه الله– يقول:" عجبتُ ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله تعالى: **﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ...﴾. (التغابن:17)**

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة:245)

ومجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه، كفيل بأن يطير إلى البذل طيرانًا، والناس في الدنيا يفتخرون بأنهم أقرضوا فلانًا الثري، لأنهم يعلمون أن السداد مضمون، فكيف إذا كانوا يقرضون الله الغني!

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: 20)

فالله يضاعف لكل من أنفق في سبيله، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة.

كما قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: 261)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةُ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ ".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث خزيم بن فاتك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ". (صحيح الجامع: 6110)

4- المتصدق من كسبٍ طيبٍ يقبلها الله ويربيها له حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل:

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ[1] مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إلا الطَّيِّبَ, وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[2] حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ ".

يقول الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري:405/11": وفي الحديث الحث على الصدقة، وقبول الصدقة ولو قلت، وقد قيدت في الحديث بالكسب الطيب، وفيه إشارة إلى ترك احتقار القليل من الصدقة وغيرها ". اهـ

– وفي رواية عند الترمذي بلفظ:" إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (التوبة:104) وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا

---

1) بِعَدْلِ تَمْرَةٍ: أي قيمتها، فإذا فتحت العين: يعني المثل، وبكسر العين: يعني الحِمْل، وهذا قول الجمهور، وقال الفراء: بالفتح المثل من غير جنسه، وبالكسر من جنسه، وقيل: بالفتح مثله في القيمة، وبالكسر في النظر. "انظر فتح الباري: 279/3"

وقال ابن الأثير – رحمه الله – في "النهاية 191/3": العِدْلُ والعَدْلُ بالكسر والفتح في الحديث: وهما بمعنى المثل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس. أهـ

2) فَلُوَّهُ: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو المهر كما جاء مفسرًا في رواية الترمذي. وسمي بذلك لأنه يُفْلَي: أي يَفطم، وقيل: هو كل فطيم من ذوات حافر: أي من أولاد ذوات الحافر (انظر النهاية في غريب الحديث:474/3) (شرح النووي:104/7)

وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾. (سورة البقرة: 276) (صحيح الترغيب والترهيب: 856) (صحيح الجامع: 1902)

وأخرج الطبراني وابن حبان عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ لَيُرَبِّي لأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ". (صحيح الترغيب والترهيب: 857)

5– الصدقة سبب للشفاء من الأمراض الجسدية والنفسية:

فقد أخرج أبو الشيخ من حديث أبي أمامة ﷺ قال:" قال رسول الله ﷺ:" داووا مرضاكم بالصدقة ". (صحيح الجامع: 3358)

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أنس بن مالك ﷺ قال:" باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة ".

وعن علي بن الحسن بن شقيق قال: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعِلاجِ، وَسَأَلْتُ الأَطِبَّاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قال:" اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ فاحْفُرْ هُنَاكَ بِئْرًا فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ"، فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَئَ.

قال ابن القيم–رحمه الله–:" إن للصدقةِ تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ أو كافرٍ، فإن الله يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلُّهم مُقِرُّون به لأنهم جربوه ".

- **والصدقة كذلك شفاء من الأمراض النفسية:**

فقد أخبر خير البرية ﷺ أن البخل داء عضال، كما جاء في مستدرك الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ". (ورواه الإمام أحمد والبخاري موقوفا على أبي بكر ﷺ)(صحيح الجامع: 7104)

وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا، فالصدقة بهذا المعنى طُهرةٌ، أي تُطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك، وإنما طهارتُه بقدر بذله، وبقدر فرحه بإخراجه، واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى، ففي الصدقة طهرٌ عن رذيلة البخل وأدران الشح، ووصمة القسوة، واكتسابٌ لِلّينِ والعطف على المحتاجين.

6- الصدقة نجاة من الخسران والبوار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي:" هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ"، قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ:" هُمُ الأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمَنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ[1] خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ[2]، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى".

7- الملائكة تدعو للمنفق المتصدق أن يخلف الله عليه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلا ومَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ".

---

1) الْفَضْلَ: ما زاد على قدر الحاجة.

2) الكَفَافُ: ما كف عن الحاجة إلى الناس مع القناعة، ولم يزد على قدر الحاجة.

وأخرج الطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ مَلَكًا بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ الْيَوْمَ يُجْزَ غَدًا، وَمَلَكًا بِبَابٍ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا". (صحيح الترغيب والترهيب: 914)

8- الصدقة هي مال الإنسان الحقيقي التي يؤجر عليها، وهي الباقية عند الله تعالى:

فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ:" فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ".

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر:2) قَالَ:" يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ".

وأخرج الترمذي عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلا كَتِفُهَا، قَالَ:" بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا ". ومعناه: أنهم تصدقوا بها إلا كتفها. (صحيح الترغيب والترهيب: 859)

تنبيه: ومما يؤكد على ما سبق – وهو أن المال الحقيقي هو الذي يتصدق به الإنسان وما سوى ذلك فهو لورثته – **ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ ".**

والمعنى واضح مفهوم: حيث أن المال الذي يرجع مع الأهل هو الذي لم يتصدق به فهو ليس بماله وهو مال الورثة، وأما ماله الذي تصدق به فهو من جملة الأعمال الصالحة التي تبقى معه في قبره.

9- الصدقة تقي مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب:

فقد أخرج الحاكم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، والآفَاتِ والهلَكاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ ". (السلسلة الصحيحة: 1908) (صحيح الجامع: 3795)

10- المتصدق يسعى لفكاك نفسه من الهلاك:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن الحارث الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، يَعْمَلُ بِهِنَّ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، قَالَ: فَكَانَ يُبْطِئُ بِهِنَّ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّكَ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ، وَتَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِهِنَّ، وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ بِأَمْرِهِمْ بِهِنَّ، فَقَالَ يَحْيَى: إِنَّكَ إِنْ تَسْبِقَنِي بِهِنَّ أَخَافُ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، حَتَّى جَلَسَ النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ، فَوَعَظَ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ".

فذكر الحديث.. وفيه:" وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ فأسرُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ فَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: لا تَقْتُلُونِي، فَإِنِّي أَفْتَدِي مِنْكُمْ نَفْسِي، بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، فَأَرْسَلُوهُ، فَجَعَلَ يَجْمَعُ لَهُمْ حَتَّى فَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ...".
(صحيح الترغيب والترهيب: 877) (صحيح الجامع: 1724)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والْمُتصَدِّق:" كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ[1] مِنْ حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَىٰ ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا[2]، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ[3] وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ[4]، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا"، قال أبو هريرةﷺ: فأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يقول بإصبعه في جيبه[5]، فلو رأيته يوسعها ولا تَوَسَّع. فالمنفق كلما أنفق اتَّسعت عليه النِّعمُ وسَبَغت وَوَفَرَت، والبخيلُ كلما أراد أن ينفق منعه الشّحُّ والحرص وخوف النقص، فهو يمنعه، ولا تتّسع عليه النِّعم ".

ومعنى الحديث: أن المنفق كلما أنفق طالت عليه، وسبغت حتى تستر بنان رجليه ويديه، والبخيل كلما أراد أن ينفق لزمت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع وشبَّه النبي ﷺ نِعَمُ الله تعالى ورزقه بالجُنّة، وفي رواية بالجُبَّة، فالمنفق كلما أنفق اتسعت عليه النعم وسبغت، ووفرت حتى تستره سترًا كاملًا شاملًا والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشُّح، والحرص، وخوف النقص، فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده، وأن تتسع عليه النعم، فلا تتسع ولا تستر منه ما يروم ستره والله تعالى أعلم.

---

1) جُنَّتَانِ: مثنى مفرده جُنَّه، بضم الجيم وتشديد النون، والمراد به ها هنا: الدرع، وسميت بها لأنها تجن صاحبها، أي تحميه من الطعن ونحوه وتحصّنه، وجاء في رواية البخاري "جُبّتان": مثنى مفرده جُبّة: وهي ثوب مخصوص.

2) تَرَاقِيهِمَا: جمع ترقوة: بفتح التاء، وضمها لحن، وهو الذي يكون بين ثغرة نحر الإنسان وعاتقه.

3) تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ: يعني تستر أصابعه، والبنان: الإصبع.

4) تَعْفُوَ أَثَرَهُ: تستر أثره.

5) الجَيْبُ هو: المكان الذي يخرج منه رأس الإنسان في الثوب وغيره.

11- الصدقة تكفر الذنوب والخطايا:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 35)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له:" ألا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّار".(صحيح الجامع: 5136)

أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ".

قال المناوي-رحمه الله-:" فِتْنَةُ الرَّجُلِ": أي ضلاله ومعصيته، أو ما يعرض له من الشر ويدخل عليه من المكروه. **فِي أَهْلِهِ:** مما يعرض له معهم من نحو همٍّ وحزن، أو شُغل بهم عن كثير من الخير، وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم وتأديبهم وتعليمهم. **وَمَالِهِ:** بأن يأخذه من غير حلّه، ويصرفه في غير محلِّه، أو يشغله لفرط محبته عن كثير من الخيرات. **وَنَفْسِهِ:** بالركون إلى شهواتها. **وَوَلَدِهِ:** بفرط محبته، والشغل به عن المطلوبات الشرعية. **وَجَارِهِ:** بنحو حسد، أو فخر، أو مزاحمة في حق، أو إهمال في تعهد.

ونبَّه على الصلاة والصيام على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على التولية فهي أصول المكفرات والمراد الصغائِر فقط ".

وكان سفيان الثوري-رحمه الله- ينشرح إذا رأى سائِلًا على بابه، فيقول له:" مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي ".

12- المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة:

أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان عن عقبة بن عامر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ". وفي رواية:" حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ". (صحيح الترغيب والترهيب: 872)

قال يزيد –أحد رواة الحديث–: وكان أبو الخير مرثد لا يُخْطِئُه يوم إلا تصدق فيه بشيء، ولو بكعكة أو بصلة ".

وأخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن يزيد بن أبي حبيب قال: كان مرثد بن عبد الله البيْزَنِيُّ أول أهل مصر يَرُوحُ إلى المسجد، وما رأيته داخلًا المسجد قط إلا وفي كُمِّهِ صدقة، إما فُلُوسٌ وإما خُبْزٌ وإما قَمْحٌ، قال: حتى ربما رأيتُ البصل يحمله قال: فأقول: يا أبا الخير إن هذا ينتن ثيابك، فيقول: يا ابن أبي حبيب أما إني لم أجد في البيت شيئًا أَتَصَدَّقُ به غيره، إنه حدثني رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله قال:" ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ ".

(صحيح ابن خزيمة: 2432) (صحيح الترغيب والترهيب: 873)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ" ثم ذكر منهم "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ..." الحديث.

وأخرج الإمام أحمد أيضا من حديث عائشةُ –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" يَا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنَ النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ". (صحيح الترغيب والترهيب: 865)

13- الصدقة وقاية وحجاب من النَّار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عديّ بن حاتم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إلا النَّار تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ".

– وفي رواية لهما:" مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ".

وأخرج الإمام أحمد أيضا من حديث عائشةُ –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" يَا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنَ النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ". (صحيح الترغيب والترهيب: 865)

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ في أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إلى المصلى فمر على النساء فقال:" يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار...". الحديث

فعُلم بهذا أن الصدقة وقاية من النار.

14- الصدقة سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:133، 134)

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:88،89)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي ذر ﷺ قال: قلتُ: يا نبي الله ماذا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّار؟ قَالَ:" الإِيمَانُ بِاللَّهِ"، قلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الإِيمَانِ عَمَلا. قَالَ:" يُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا لا يَجِدُ مَا يُرْضَخُ بِهِ؟ قَالَ:" يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَيِيًّا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ:" يَصْنَعُ لأَخْرَقَ". قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا؟ قَالَ:" يُعِينُ مَغْلُوبًا". قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ فَقَالَ:" مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ، يُمْسِكُ الأَذَى عَنِ النَّاسِ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ هَؤُلاءِ، إلا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ". (السلسلة الصحيحة: 2669)

وكان من جملة الخصال التي ذكرها النبي ﷺ والتي توصل إلى الجنة أنه قال:" يُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ ".

15- الصدقة تدخل الإنسان الجنة من باب الصدقة:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[1] فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ

---

1) زَوْجَيْنِ: قال الحافظ ابن حجر– رحمه الله– في" فتح الباري 112/4":" والمراد بالزوجين: إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد". اهـ،
يعني كثوبين، أو درهمين، أو فرسين، أو شاتين، يعني زوجين من مال واحد.

الأبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ:" نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي والحاكم من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُنْفِقُ مِنْ كُلِّ مَالٍ لَهُ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ اسْتَقْبَلَتْهُ حَجَبَةُ الْجَنَّةِ كُلُّهُمْ يَدْعُوهُ إِلَى مَا عِنْدَهُ ". (صحيح الجامع: 5774)

وأخيرًا: بعدما وقفنا على فضل الصدقة، وعلمنا مالها من الفضل والأجر، نستطيع أن نعي ونفهم معنى حديث النبي ﷺ:" لاَ حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ". (رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ)

وفي رواية أخرى في الصحيحين أيضا عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" لَا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقومُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٍ أَتَاهُ اللَّهُ مالا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وآنَاءَ وَالنَّهَارِ".

والمراد بالحسد هنا في الحديث: الغبطة، وهي تمني مثل ما للمُغْبَطْ، وهذا لا بأس به، وله نيته، فإن تمنى زوال تلك النعمة عنه كان هذا هو الحسد المحرم.

وأخرج ابن خزيمة والحاكم عن عمر ﷺ قال:" ذُكر لي أن الأعمالَ تباهي فتقول الصدقة: أنا أفضلكم". (صحيح الترغيب والترهيب: 878)

الوصية الثانية: أوصيك بإطعام الطعام في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان(1):

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان:8-11)

1- إطعام الطعام سبب في اقتحام العقبة:

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد:11-16)

2- إطعام الطعام من أفضل الأعمال عند الله- تعالى-:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال: "سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال: إدخالك السرور على مؤمن[2]؛ أشبعتَ جوعتَه، أو كسوتَ عورتَه، أو قضيت له حاجةً ". (صحيح الترغيب والترهيب:954)

- وأخرج ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" والطبراني في الكبير من حديث ابنِ عمرَ-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تدخلُهُ على مسلمٍ، أو تكشفُ عنه كُربةً، أو

1- هناك رسالة للمؤلف عن" فضل إطعام الطعام " ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمورٍ.

2- قال المناوي- رحمه الله- في" فيض القدير: 167/1": إدخال السرور؛ أي: إدخال الفرح على المسلم، بأن تفعل معه ما يسره من تبشيره بحدوث نعمة، أو اندفاع نقمة، أو كشف غمة، أو إغاثة لهفة، أو نحو ذلك من أنواع المسرّة ". اهـ. وقال الزمخشري: " والسرور لذة القلب عند حصول نفع أو توقعه ". اهـ

تقضي عنه دَيْنًا، أو تطردُ عنه جوعًا، ولأنَ أمشِيَ مع أخي المسلم في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكِفَ في المسجد شهرًا...". (الصحيحة:906) (صحيح الجامع:176)

– وأخرج ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" والبيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا أو تطعمه خُبزًا ". (صحيح الجامع:1096)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبادةَ بن الصامتِ ﷺ قال: بينما أنا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ جاءه رجلٌ، فقال يا رسول الله! أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله، وحج مبرور"، فلما وَلَّى الرجل، قال: وأهْوَنُ عليك من ذلك: إطعام الطعام، ولين الكلام، وحسن الخلق، فلما وَلَّى الرجل، قال: "وأهون عليك من ذلك: لا تتهم الله على شيء قضاه عليك ". (صحيح الترغيب والترهيب:1307)

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما– أن رجلًا سأل النبيَّ ﷺ أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال:" تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ".

3– خير الناس من يطعم الطعام:

فكما أن إطعام الطعام من أفضل الأعمال، ففاعله من أفضل الناس وأحسنهم؛

– فقد أخرج أبو يعلى والحاكم عن صُهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خيرُكم من أطعمَ الطعامَ، وردَّ السلام ". (صحيح الجامع:3318) (الصحيحة:1480)

– وفي رواية ابن حبان عن حمزةَ بنِ صُهيب عن أبيه ﷺ قال: قال عمُرﷺ لصهيب:" فيك سَرَفٌ في الطعام! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" خِيارُكم من أطعم الطعام ".(صحيح الترغيب والترهيب:948)

4- إطعام الطعام أجرُه كبيرٌ، وهو مدخورٌ عندَ ربِّ العالمين:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" إذا أنفقت المرأةُ من طعامِ بيتِها غيرَ مفسدةٍ، كان لها أجرُها بما أنفقت، ولزوجها أجرُه بما اكتسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئًا ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَ ﷻ يقول يومَ القيامة: يا ابنَ آدمَ مرضتُ فلم تَعُدْنِي، قال: يا رَبّ كيف أعُودُكَ وأنت رَبُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أما علمتَ أنك لو عُدْتَهُ لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تُطْعمني، قال يا ربُّ وكيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟ قال أما علمت أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطْعِمْه، أما علمتَ أنك لو أطعمتَهُ لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابْنَ آدم اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تُسْقني، قال يا ربُّ كيف أسْقيك وأنت رَبُّ العالمين؟ قال اسْتَسْقَاكَ عبدي فلانٌ فلم تُسْقِهِ أما إنك لو سَقَيْتَهُ لوجدتَ ذلك عندي ".

5- إطعام الطعام يلين القلب القاسي:

- فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في "مكارم الأخلاق" عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبِهِ، فقال له:" إن أردت تليين قلبك، فأطعمْ المسكينَ، وامسحْ رأسَ اليتيم ". (الصحيحة:845) (صحيح الجامع:1410)

- وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أتحبُّ أن يلينَ قلبُك وتدرِكَ حاجتَكَ؟ ارحَمِ اليتيمَ، وامسحْ على رأسه، وأطعمْه من طعامك، يَلِنْ قلبُك، وتُدْرِكْ حاجتك ".(الصحيحة:854) (صحيح الجامع:80)

6- إطعام الطعام يقبله الله تعالى وينميه لصاحبه حتى يكون مثل الجبل:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من تصدق بعدل تمرة[1] من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدُكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل ".

- وفي رواية عند الترمذي بلفظ:" أن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم، كما يربي أحدكم مهره حتى إنَّ اللقمة لتصير مثل أُحُد ". (صحيح الترغيب والترهيب: 856) (صحيح الجامع: 1902)

- وفي رواية عند الطبراني وابن حبان من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله ليُرَبِّي لأحدِكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله حتى تكونَ مثل أُحُد ". (صحيح الترغيب والترهيب: 857)

أخي الحبيب: ما قدر كسرة تعطيها، أوَ ما سمعت أن الرب يربيها، فيراها صاحبها كجبل أُحُد؟! ما قدر لقمة لا يبالي بها أحد، حتى تصيرَ كجبلِ أُحُد؟! واعجبًا للقمة كانت قليلة فكثرت؛ وفانية فبقيت؛ إن اللقمةَ إذا أُكِلَتْ صارت أذىً وقبائحَ في الحُشِّ، وإذا تصدق بها صارت مدائح عند العرش. **(نداء الريان للعفاني- حفظه الله-:232/1)**

قال أحد الزهاد: يتزوج أحدُكم فلانةً بنت فلان بالمال الكثير، ولا يتزوج الحور العين بلقمة، أو تمرة، هذا من العجب العجاب!!

1- بعدل تمرة: أي قيمتها، فإذا فتحت العين: يعني المثل، وبكسر العين: يعني الحمل، وهذا قول الجمهور. وقال الفراء: بالفتح: يعني المثل من جنسه، وقيل: بالفتح مثله في القيمة، وبالكسر في النظر (فتح الباري:279/3) وقال ابن الأثير- رحمه الله- في "النهاية: 191/3": العِدل والعَدل: بالكسر والفتح في الحديث، وهما بمعنى المثل، وقيل: هو بالفتح: ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس ". اهـ

7- إطعام الطعام من وصايا الرسول-صلى الله عليه وسلم-:

إطعام الطعام فضله عظيم وأجره كبير، فهو من أفضل الأعمال عند الملك الدَّيان- سبحانه-، وفاعله من خير الناس وأفضلهم، وأجر الإطعام مدخور عند رب العالمين يجازي عليه يوم القيامة أجرًا عظيمًا، وهو يلين القلب القاسي، ومن فطر صائمًا فله مثل أجره، بالإضافة إلى أنه حرز من النار، ويثقل الموازين يوم القيامة، وسبيل لدخول الجنة وسكنى الغرف التي أعدها الله لمن أطعم الطعام، وكذلك يطعمه الله من ثمار الجنة، وغير ذلك من الفضائل، مما جعل النبي ﷺ يوصي أمته بإطعام الطعام، لعلمه ﷺ ما في ذلك من فضل عظيم، وأجر كبير.

- فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفكُوا العاني[1] ".

- وأخرج الطبراني في الكبير عن الحسن بن عليّ-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" أطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام ". (الصحيحة:1465) (صحيح الجامع:1021)

وأخرج ابن أبي الدنيا في " قضاء الحوائج" عن جميل بن مُرَّة قال: من اهتبل جوعةَ مسلمٍ فأطعمه غُفِرَ له ".

وكان بعض السلف يقول: إذا كان الله تعالى قد غفر لمن سقى كلبًا على شدة ظمئه، فكيف بمن سقى العِطاش، وأشبع الجِياع، وكسا العراة من المسلمين ".

1- العاني: الأسير. (فتح الباري:10/ 112).

بشرى وتحذير: من أطعم الطعام وكان في حاجةِ الناسِ زادَهُ اللهُ مِنْ فضلِه، وأقرهم على ما هم فيه من النعم، ومن بخل وتولى نُزِعَتْ منه هذه النعمةُ وتحولت إلى غيره.

– ففي الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في " قضاء الحوائج " والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" إن لله أقوامًا يختصَّهم بالنِّعمِ لمنافعِ العباد، ويُقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها، نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم ". (الصحيحة:1692) (صحيح الجامع: 2164)

– وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما مِنْ عبدٍ أنعمَ اللهُ عليهِ نعمةً فأسبغها عليه، ثم جَعل مِن حوائج الناسِ إليه فتبرَّمَ فقد عرَّض تلك النِّعمةَ للزوال ". (صحيح الترغيب والترهيب:2618)

– وأخرج الطبراني أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن لله عند أقوامٍ نعمًا أقرَّها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين– مالم يملُّوها–، فإذا ملُّوها نقلها إلى غيرهم ". (صحيح الترغيب والترهيب:2616)

وصدق القائل حيث قال:

ليسَ في كلِ حالةٍ وأوانٍ تتهيأُ صنائعُ الإحسانِ
فإذا أَمْكَنَتْ فبادِرْ إليها حذرًا من تَعَذُّر الإمكانِ[1]

وقال فيضُ بن إسحاق–رحمه الله–:" كنت عند الفضيل بن عياض–رحمه الله– فجاء رجلٌ فسأله حاجةً، فألحَّ في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذِ الشيخ، فزجرني الفضيل، وصاح عليَّ، وقال: أما علمتَ أن حوائج الناس إليكم نِعمٌ من الناس عليكم؟! فاحذروا أن تملَّوا

1– لمحمد بن طاهر الرقيّ.

النعم فتُحوَّل نقمًا، ألا تحمد ربَّك أن جعلك موضعًا تُسْأل ولم يجعلْكَ تَسْأل ". (**كتاب "الحدائق" لابن الجوزي**)

وما المرء إلا حيثُ يجعلُ نفسَه ففي صالح الأعمال نفسَك فَاجْعَلِ[1]

8- إطعام الطعام حرز من النار:

فقد أخرج البخاري من حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في حديث له:"... اتقوا النار ولو بشق تمرة ".

9- إطعام الطعام يثقل الميزان يوم القيامة:

فقد أخرجَ ابنُ حبان بسند فيه مقال عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تعبد عابدٌ من بني إسرائيل، فعبد الله في صومعته ستين عامًا، فأمطرت الأرض فاخضرَّت، فأشرف الراهب من صومعته، فقال: لو نزلتُ فذكرتُ الله فازددت خيرًا، فنزل ومعه رغيف أو رغيفان، فبينما هو في الأرض لقيته امرأةٌ فلم يزل يكلِّمها وتكلِّمه حتى غشيها، ثم أغمى عليه، فنزل الغدير يستحم، فجاء سائل فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين ثم مات، فوزنت عبادةُ ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته، ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له ". (ضعيف الترغيب والترهيب: 527)

ورواه البيهقي موقوفًا على ابن مسعود ﷺ بسند صحيح، وفيه أنه قال:" إن راهبًا عَبَدَ اللهَ في صومعته ستين سنة، فجاءتْ امرأةٌ، فنزلتْ إلى جنبه، فنزل إليها فواقعها ستَ ليالٍ، ثم سُقط في يده فهرب فأتى مسجدًا فأوى إليه فيه ثلاثًا لا يطعم شيئًا، فأتى برغيف فكسره فأعطى رجلًا عن يمينِه نصفَه وأعطى آخرَ عن يساره نصفَه، فبعث الله إليه ملك الموت فقبض روحه، فوضعت الستون في كفة ووضعت الستة في

1- لحزن بن جناب.

كفة فرجحت،- يعني الستة-، ثم وُضع الرغيفُ، فرجح - يعني رجح الرغيف الستة-". (صحيح الترغيب والترهيب: 885)

كان الفضيل بن عياض-رحمه الله- يقول:" نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجر، حتى يضعوها في الميزان بينَ يدي الله تعالى ".

10- إطعام الطعام سبيل لدخول الجنة:

- أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن سلام ﷺ قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة انجفل الناس[1] إليه فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستثبته[2] علمت أن وجهه ليس بوجه كَذَّاب. قال: وكان أول، ما سمعت من كلامه أن قال:" أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ". (صحيح الترغيب والترهيب: 949) (صحيح الجامع: 7865)

- وأخرجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ حِبَّانَ من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسولَ الله! أخبرني بشيءٍ إذا عملْتُه دخلتُ الجنة، قال:" أطعمْ الطعامَ، وأفشِ السلامَ، وَصِل الأرحامَ، وَصَلِّ بالليل والناسُ نِيَامٌ، تدخل الجنة بسلام".

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي في السنن الكبرى من حديث البراء بن عازب ﷺ قال:" جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملًا يدخلني الجنة، قال:" إن كنت أقصرتَ الخُطْبة لقد أعرضتَ المسألة: أعتق النَّسَمة، وَفُكَّ الرقبة، فإنْ لم تُطقْ ذلك، فأطعم الجائع، واسقِ الظمْآن ". (صحيح الترغيب والترهيب: 951)

1- انجفل الناس: بالجيم: أي: أسرعوا، ومضوا كلهم.

2- استثبته: أي: تحققته وتبينته.

– وأخرج الإمام مسلم وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ " فقال أبو بكر ﷺ: أنا، فقال:" من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ " فقال أبو بكر: أنا، فقال: " من تَبِعَ منكم اليومَ جَنَازَةً؟" فقال أبو بكر: أنا، فقال: "من عاد منكم اليوم مريضًا؟" قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ:" ما اجتمعت هذه الخصال قَطُّ في رَجُلٍ، إلا دخل الجنة ".

– وفي رواية: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة".

– وعند البخاري في الأدب المفرد بلفظ:" ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة ". (صحيح الأدب المفرد: 195)

– وأخرج الإمام أحمد عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من خُتِمَ له بإطعام مسكين محتسبًا على الله ﷻ دخل الجنة، ومن ختم له بصوم يوم محتسبًا على الله ﷻ دخل الجنة، ومن خُتِمَ له بقول: لا إله الا الله محتسبًا على الله ﷻ دخل الجنة ". (الصحيحة: 1645)

– وأخرج البخاري في" الأدب المفرد" والحاكم وابن حبان عن هانئ بن يزيد ﷺ أنه لما وفد على رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، أي شيء يُوجب الجنة؟ قال ﷺ:" عليك بحُسن الكلام، وبذل الطعام ".(الصحيحة: 1939) (صحيح الجامع:4049)

11– إطعام الطعام رفعة في درجات الجنة:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في "الشعب" من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات. فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السَّبْرَات، وانتظار الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، والصلاةُ بالليل والناسُ نِيَام، وأما المنجيات: فالعدلُ في الغضبِ والرضا، والقصدُ في الفقر والغنى، وخشيةُ

الله في السر والعلانية، وأما المهلكات: فشحٌ مُطاع، وهوىً مُتَبع، وإعجابُ المرءِ بنفسِه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 453)

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ قال:" وأما الدرجات:" فإطعام الطعام ".

– وأخرج الترمذي من حديث ابن العباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" أَتَاني الليلةَ آتٍ من ربي –وفي رواية:" رأيتُ ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمدُ. قُلتُ: لبيك ربِّ وسعديك. قال: هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قُلت لا أعلم، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثَدْيَيَّ، أو قال: في نَحْرِي، فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض "، أو قال: " ما بين المشرق والمغرب. قال: يا محمد أتدري فِيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟ قلت: نعم في الدرجات، والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وإسباغ الوضوء في السَّبْرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمُّهُ. قال يا محمد! قلت لبيك وسعديك، فقال: إذا صليتَ قُل: اللهم إني أسألك فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتون " قال: " والدرجات: إفشاءُ السلام، وإطعامُ الطعام، والصلاةُ بالليل والناس نيام ".

(صحيح الترغيب والترهيب: 302) (صحيح الترمذي:2581)

12– إطعام الطعام ليس فقط سبيل لدخول الجنة فقط، بل هو سبيل لسكن غرف الجنة:

فقد أخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعريﷺ: لمن يا رسول الله؟ قال: هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناسُ نِيَام ". (صحيح الترغيب والترهيب: 946)

وفي رواية:" أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ".

وهذه الغرف في أعلى الجنان حيث يتراءها أهل الجنة كما نتراءى نحن الكواكب.

– فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ! تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ ".

13– من أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أيُّما مسلمٍ كسا مسلمًا ثوبًا على عُري، كساه الله تعالى من خُضْرِ الجنة، وأيُّما مسلمٍ أطعم مسلمًا على جوع، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيُّما مسلمٍ سقى مسلمًا على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ".

قال ابن رجب–رحمه الله–:" فمن جاد على عباد الله؛ جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل ".

- وفهم السلف هذا المعنى وعقلوه؛ فكانوا أحرص الناس على هذا الهدي.

– فها هو عليّ ﷺ يقول كما عند البخاري في" الأدب المفرد": لأن أجمع نفرًا من إخواني على صاعٍ أو صاعين من طعام؛ أحب إلي من أن أدخل إلى سوقكم فأشتري رقبة فأعتقها ".

– وقال الحسن بن علي–رضي الله عنهما–: "لأن أُطْعم أخًا لي في الله لُقْمةً، أحبُّ إليَّ من أن أتصدق على مسكينٍ بدرهم ".

وكان ابن عمر–رضي الله عنهما– يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي من الجفنة فيصبح صائمًا ولم يأكل شيئًا، وكان يتصدق بالسكر ويقول: سمعت الله يقول: لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ، والله يعلم أني أحب السكر ".

– **وقال أبو السِوار العدوي–رحمه الله–:** كان رجال من بني عدي يصلُّون في هذا المسجد ما أفطر أحدٌ منهم على طعام قط وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع الناس، وأكل الناس معه ".

– **واشتهى بعض الصالحين من السلف طعامًا وكان صائمًا؛** فوُضع بين يديه عند فطوره، فسمع سائلًا يقول: مَن يُقْرض المَليّ الوفيّ الغني؟ فقال هذا الرجل الصالح: عبده المعْدم من الحسنات، فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويًا ".

– وجاء سائل إلى الإمام أحمد فوضع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائمًا ".

تنبيه: من صور إطعام الطعام: إطعام الصائمين:

وإطعام الصائمين فيه فضل كبير، وأجر عظيم، حيث له مثل أجر الصائم.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن زيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَنْ فَطَّرَ صائمًا كان له مثلُ أجرِهِ، غير أنه لا ينتقصُ من أجرِ الصائمِ شيئًا ". (صحيح الجامع:6415)

– وفي حديث آخر أخرجه البيهقي من حديث زيد بن خالد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من فَطَّر صائمًا، أو جهَّز غازيًا، فله مثلُ أجرِه ". (صحيح الجامع: 6414)

نصيحة:

على الزوجةِ أن تصحِّح النيةَ عندَ إعدادِ الطعامِ للزوجِ والأولادِ في رمضانَ وفي غيره من أيامِ الصيام؛ وهذا فيه من الأجر العظيم، والذي تستطيع أن تتحصل عليه الزوجةُ عند إعداد الطعام للزوج والأولاد.

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: كنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في السفر فمنا الصائمُ ومنا المفطرُ، قال: فنزلنا منزلًا في يوم حار، أكثرنا ظلًا صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصُّوَّام وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: ذهبُ المفطرون اليوم بالأجر".

فهؤلاء مفطرون وذهبوا بالأجر، فما نقول في كون القائم على خدمة الصائم صائمًا مثله، فمما لا شك فيه أن أجره مضاعف، بل لا نبالغ إن قلنا: إن كثيرًا من الرجال حرموا هذا الأجر، وخص الله به النساء، فعلى النساء أن يحتسبن نية تفطير الصائمين عند إعدادهن الطعام، فيأخذن أجر من تُفطِّر. **وقد مر بنا في الحديث:" من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقصُ من أجر الصائم شيئًا ".**

وانظر أخي الحبيب لهذا الحديث بعيني قلبك وتمعن فيه لتعلم مدى رحمة رب العالمين وعظيم فضله وكرمه على عباده. **أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ، كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لها بهِ ".**

–وفي رواية:"غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ".

فانظر أخي الحبيب إلى عظيم فضل الله تعالى؛ فهذه امرأة بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ سقت كَلْبًا كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ فَغُفِرَ الله لها بذلكَ، فما الظن بمن يسقي أو يطعم صائمًا؟!

الوصية الثالثة: أوصيك بكثرة الدعاء في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان(1):

فالدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، فهو من أعظم العبادات وأشرفها؛ لأنه يظهر حاجة الإنسان وافتقاره إلى مولاه، فالعبد يسأل ربه سبحانه وتعالى جلب نفع، أو دفع ضر، لأنه يعلم يقينًا أن الله تعالى بيده مقادير كل شيء، فيتعلق قلبه به، ويقبل عليه، ولهذا فهو من أفضل العبادات التي يحبها رب الأرض والسماوات.

فقد اخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ". (صحيح الجامع: 1122) (الصحيحة 1579)

فالدعاء أفضل العبادة؛ لأن الدعاء دليل على عبودية العبد لمولاه سبحانه، وهو ملاذ المؤمنين، ومتنفس المكروبين، وترياق المهمومين، وسُلّم المذنبين للوصول إلى رب العالمين، وهو طريق المحتاجين، وباب يقف عنده المضطرون، وهو شعار الأنبياء والصالحين، وملجؤهم الذي يفزعون إليه إذا حزبهم أمر، وألَمَّ بهم هَمٌّ، أو أبطأ عليهم نصر، وبه تُستجلب الخيرات، ويُدفع به الشرور والآفات، وهو سبب لانشراح الصدر، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، وبه تستنزل الرحمات، وهو سلاح المؤمن عند نزول الكربات. فالدعاء تذلل وخضوع، وإخبات وانطراح على باب الكريم سبحانه، وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الكرم والجود إليه. **(انظر شأن الدعاء للحافظ الخطابي –رحمه الله–)**

1– هناك رسالة للمؤلف عن" فضل الدعاء" ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمورٍ.

الدعاء له أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة منها:

1- الدعاء عبادة[1]:

الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، ومن يدعو غير الله تعالى فقد أشرك. **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" الدُّعاءُ هو العبادةُ[2]" ثمَّ قرأ ﴿وَقال رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ (غافر:60) ". (صحيح الجامع:3407) (صحيح الترغيب والترهيب:1627)

ففي هذه الآية سمى الله تعالى الدعاء: عبادة. والعبادة فيها تذلل وخضوع للمعبود سبحانه، وهذا تجده في الدعاء ففيه إظهار فقر، وحاجة، وتذلل من العبد الفقير الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلى الله تعالى القادر على جلب جميع المنافع، ودفع جميع المضار.

2- الدعاء أكرم شيء على الله:

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء ".

1- ومما يدل على أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مريم:48،49)

ويدل على هذا أيضًا قول أصحاب الكهف:(رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) (الكهف:14) قال بعض أهل التفسير في هذه الآية: أي لن نعبد غيره.

ويدل على هذا أيضا قوله تعالى:(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوم الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف:5،6)

2 – قال الخطابي رحمه الله وقوله ﷺ:" الدعاء هو العبادة": معنى أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال: الإبل، وكقول النبي ﷺ:الحج عرفة ".

(صحيح الأدب المفرد:549) (صحيح الجامع:5392) (صحيح الترغيب والترهيب:1629)

فالدعاء أكرم شيء على الله؛ لأن الدعاء خضوع لله، فيخشع القلب لعظمته، وتذل النفس لعزته، وتضعف لقوته، فمن كان هذا حاله: الفقر، والخضوع، والذلة لله تعالى فهو كريم على الله.

3- أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(غافر:60)، **وقال تعالى:** ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف:29) فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

4- الدعاء يجعل العبد في معية الله تعالى الخاصة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولَ اللهِ ﷺ: قال اللهُ تعالى:" أنا عندَ ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني ".

فيا لعظم الربح، ويا لجمال العطاء، أن تفوز بمعية الله تعالى الخاصة، والمقصود بها: الحفظ، والكلاء، والرعاية، فأي فضل بعد هذا الفضل؟

5- الدعاء سبب لدفع غضب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان:77) فمن لم يسألِ الله يغضبْ عليه.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ". (صحيح الجامع:2418) (صحيح الأدب المفرد:658) (الصحيحة:٢٦٥٤)

وهذا الحديث يدل على أن دعاء الله وسؤاله واجب في الجملة، بحيث إن من ترك دعاء الله بالكلية، فإن الله يغضب عليه، لأنه ترك هذه العبادة العظيمة التي هي الدعاء، ولأن ذلك يشعر بتكبره ودعواه أنه مستغن عن الله غير محتاج إليه.

ففي الحديث السابق دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات، لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه. (**انظر تحفة الذاكرين للشوكاني ص: 31**).

قال المناوي–رحمه الله– عند الحديث السابق:" لأن تارك السؤال إما قانط وإما متكبر، وكل واحد من الأمرين موجب للغضب ".

وقد أحسن من قال:

لا تسألـنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجــةً وسل الذي أبوابُهُ لا تحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركت سؤالَه وبُنيُّ آدمَ حين يُسألُ يغضبُ

لما رأى وهب بن منبه–رحمه الله– رجلًا يأتي الملوك ويسألهم من عطاياهم لم يتمالك نفسه، فانطلق يأمره وينهاه قائلًا: ويحك!! تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه الليل مع النهار، ويظهر لك غناه، ويقول ادعني أستجب لك!!

6– الدعاء دليل على التوكل على الله:

فَسِرُّ التوكل على الله وحقيقتُهُ هو اعتماد القلب على الله وحده. وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء، ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه، ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطَّلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها.

7– الدعاء يرد القضاء ويُدفع به البلاء بإذن رب الأرض والسماء:

فقد أخرج الترمذي من حديث سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلَّا البرُّ ". (صحيح الجامع:7687) (صحيح الترغيب والترهيب:1639)

قال الشوكاني–رحمه الله– عن هذا الحديث:" فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ". **(تحفة الذاكرين ص29).**

فالله سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، ويؤيد ذلك **قوله تعالى:** ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ **(الرعد:39)**

وأخرج الطبراني في الأوسط والحاكم والبزار من حديث عائشة أم المؤمنين–رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" لا يُغني حذرٌ من قدرٍ، والدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزل وما لم ينزِلْ، وإنَّ البلاءَ لينزِلُ فيلقاه الدُّعاءُ فيعتلِجان[1] إلى يومِ القيامةِ[2] ". (صحيح الجامع:7739)

فالدعاء يرد القضاء ويُدفع به البلاء ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل.

8– الدعاء سبيل للسلامة من الكبر في الدنيا، والعذاب في الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **(غافر:60)**

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي يستكبرون عن دعائي، فهؤلاء توعدهم الله بالوعيد الشديد والعذاب الأليم، حيث يدخلون جهنم صاغرين أذلاء.

قال ابن كثير–رحمه الله–عند تفسير هذه الآية:" هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ أحد كَذَلِكَ غَيْرَكَ يَا رَبِّ. **(رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)**. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:

اللَّهُ يَغْضبُ إِنْ تركْتَ سُؤَالهُ وَبُنَيُّ آدمَ حِينَ يُسأَلُ يَغْضَبُ

وأخرج الْإِمَامُ أَحْمَدُ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عَلَيْهِ ". – وفي رواية:" مَنْ لَا يَسْأَلْهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ".

1– يعتلجان: أي يتصارعان، ويتدافعان.

2– هذا الحديث من طريق زكريا بن منظور الأنصاري وثقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات، وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب، وصحيح الجامع.

9- الدعاء لا يهلك معه أحد:

فقد أخرج ابن حبان والحاكم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تَعْجِزوا في الدُّعاءِ؛ فإنَّه لن يَهلِكَ مع الدُّعاءِ أحَدٌ ".

(ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وصححه المنذري في الترغيب والترهيب، والشوكاني في الفتح الرباني)

وصدق الحبيب النبي ﷺ ففي الدعاء فوائد عظيمة وثمرات جليلة، تظهر في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ". (صحيح الترغيب والترهيب:1633) (صحيح الأدب المفرد:547)

وقول النبي ﷺ:" اللهُ أكثرُ" أي: فعَطاؤُه أكثَرُ عِندَ كُلِّ دَعوةٍ أرادَ بها العَبدُ الخَيرَ، فمهما أكثَرَ العِبادُ مِنَ الدُّعاءِ فعَطاؤُه لا يَنفَدُ، ولا يَنتَهي، بل هو عَطاءٌ كَثيرٌ غَيرُ مَحدودٍ.

قال ابن عبد البر-رحمه الله- في "التمهيد" عند هذا الحديث:" فيه دليل على أنه لا بد من الإجابة على إحدى هذه الأوجه الثلاثة ". اهـ.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من مسلمٍ ينصبُ وجهَه للهِ عزَّ وجلَّ في مسألة إلا أعطاها إياه، إما أن يُعَجِّلَها له، وإما أن يدَّخرَها له في الآخرةِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1632)

ففيما مضى من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطى ما سأله، إما معجلًا، وإما مؤجلًا، تفضلًا من الله جل وعلا. **(انظر تحفة الذاكرين ص33).**

قال ابن حجر-رحمه الله-: والإجابة تتنوَّع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخَّر لحكمةٍ، وتارة قد تقع الإجابةُ ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحةٌ ناجزةٌ، وفي الواقع مصلحةٌ ناجزةٌ أو أصلحُ منها ". **(فتح الباري: ١١/٣٤٥)**

وقال أيضًا–رحمه الله:" إنَّ كلَّ داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوَّع الإجابةُ فتارة تقع بعين ما دعا به وتارة بعِوض" **(فتح الباري: 95/11)**.

10- الدعاء سبب لتفريج الكرب:

قال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ **(النمل:62)**

ولا أدل على ذلك أيضًا من قصة أصحاب الغار الذين حُبسوا في غار في الجبل ولم ينجهم من هذا الكرب؛ إلا الدعاء والتوسل إلى الله بأعمالهم الصالحة.

قال القاضي حسين– رحمه الله–:" يستحب لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله ". **(الأذكار للنووي ص: 612)**

وصدق القائل حيث قال:

وإني لأدعـو الله والأمر ضيق عليَّ فمـا ينفـكَّ أن يتفرجـا

ورُبَّ فتى ضاقت عليه وجوهُه أصاب له في دعوة الله مخرج

(عيون الأخبار لابن قتيبة:287/2)

11- الدعاء دليل على الكياسة ورجحان العقل والسلامة من العجز:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ ". (رواه المقدسي في كتاب الدعاء) (الصحيحة:601)

وقال أبو هريرة ﷺ:" إِنَّ أبخَلَ النَّاسِ مَن بخِل بالسَّلامِ، وأعجَزَ النَّاسِ مَن عجَز عَنِ الدُّعاء ". (صحيح الجامع: 1519) (الصحيحة:٦٠١)

والدعاءُ أمرُه يسيرٌ على كلِّ أحدٍ، فهو لا يتطلَّب جهدًا عند القيام به، ولا يلحق الداعي بسببه تعبٌ ولا مشقَّةٌ، ولهذا فإنَّ العجزَ عنه والتواني في أدائه هو أشدُّ العَجز، وحَرِيٌّ بِمَن عجز عنه مع يُسرِه وسهولته أن يعجز عن غيره، ولا يَعجزُ عن الدعاء إلاَّ دنيُّ الهمَّةِ ضعيفُ الإيمان.

أضف لهذا أن من يبخل على نفسه بالدعاء لا سيَّما عندَ الشدائدِ، كأنه في غنى عن الله تعالى، وأنه لا حاجة له فيما عنده سبحانه، وأنه يعتمد على ذكائه أو قوته أو ماله في جلب نفع أو دفع ضر– كما يعتقد – فهذا الإنسان من أعجز الناس، وإن ظن نفسه

بخلاف ذلك، فهو أضعف الناس رأيًا، وأدناهم همة، وأعماهم بصيرة، فهذا شأن مَن ترَكَ الدُّعاءَ، فإنَّ الدُّعاءَ عِبادةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، فمَن تركَه كان أعجَزَ الناسِ؛ لِتركِه ما أمَرَه اللهُ به، حيثُ سمِعَ قَولَ ربِّه: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ (**غافر: 60**)، فلمْ يَدْعُه مع فاقَتِه وحاجتِه إليه! واللهُ سُبحانه وتعالى لا يُخيِّبُ مَن سألَه واعتمَدَ عليه، فمَن ترَكَ طَلَبَ حاجاتِه مِن اللهِ تعالى مع ذلك، فهو أعجَزُ العاجزينَ.

ومفهوم المخالفة للحديث أن الذي يدعو ويكثر من الدعاء هو من أكيس الناس، وأرجحهم عقلًا.

12- الدعاء روح العبادة، وأصل الدين:

مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الدُّعاءُ هو العبادةُ ".

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "الدُّعاءُ هو العبادةُ"، أي: مِن أجلِه تَكونُ العبادةُ؛ لأنَّ العبدَ في دُعائِه لربِّه يَكونُ مُعترِفًا بكَمالِ رُبوبيَّتِه وأُلوهيَّتِه، ويَكونُ مُقبِلًا على اللهِ مُعرِضًا عن غيرِه. وقد سمى الله الدعاء دينًا في كثير من الآيات؛ كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (**العنكبوت:65**)

وقال تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (**غافر:14**) ففي هذه الآيات تجد أن رب العالمين ذكر كلمة "الدين" موضع كلمة "الدعاء"، وكأن الأصل:" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدعاء " وكذلك في الآية الأخرى، **لكنه سبحانه وتعالى قال:** ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ وهذا يدل على أن الدعاء هو قلب الدين وروح العبادة. (**القواعد الحسان للسعدي-رحمه الله- ص 155 بتصرف**)

13- الدعاء شعار الأنبياء والمرسلين، وسبيل النجاة والفوز في الدنيا ويوم الدين:

- فهل اجتبى الله آدم عليه السلام وتاب عليه وهداه، إلا بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات فدعاه بها؟!!

- وهل فتحت أبواب السماء بماء منهمر، وفُجِّرت الأرض عيونًا، فالتقى الماء على أمر قد قُدِرَ، وحمل **نوح -عليه السلام-** على ذات ألواح ودسر **إلا بعد أن دعا ربه** ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ **(القمر:10)**

- وخليل الله إبراهيم- عليه السلام- هل أنجاه الله من النار **إلا بعد قوله:" حسبنا الله ونعم الوكيل ".**

- وهل بشر بغلام حليم إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ **(الصافات:100)**

- وهل أنعم الله عليه وأنجاه وزوجته سارَّة من الجبار، وكف الله يد الكافر الجبار عنها، إلا بعد دعاء إبراهيم وسارَّة عليهما السلام؟!

- وهل نال إبراهيم- عليه السلام- هذه المراتب العالية والثناء الحسن إلا بعد دعائه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ **(الشعراء:84)**

- ولوط- عليه السلام- هل أنجاه الله، وأهلك أعداءه إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ **(الشعراء:196)**

- ويونس- عليه السلام- هل أنجاه الله من الغم إلا بعد أن نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ **(الأنبياء:87)**

- وأيوب -عليه السلام- هل كشف الله ما به من ضر[1] إلا بعد دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ **(الأنبياء:83)**

1- وليس معنى ذلك أن الله لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف الله الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأخذ بالأسباب كما هو معلوم، والله تعالى أعلم.

– وداود –عليه السلام– هل قتل جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:250)

– وسليمان –عليه السلام–هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بنَّاء وغوَّاص وآخرين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسَال الله له عين القِطر، وأفهمه لغة الطير والنمل إلى غير ذلك مما مَنَّ الله به عليه وأنعم، إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص:35)

– وزكريا –عليه السلام– هل وهب الله له يحي وأصلح له زوجه، إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء:89) وبعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران:38)

– وهل حفظ الله مريم وابنها– عليهما السلام– وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب، ولم يصبها بأذى إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران:36)

– ونبينا محمد ﷺ يدعو الله فيقول:" اللهم أعز الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام ". فيهدي اللهُ عمر بن الخطاب ﷺ ويبلغ من المكانة في الإسلام مبلغًا عظيمًا.

14– الدعاء شعار عباد الله المتقين:

قال جلَّ شأنه عن أنبيائه عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(الأنبياء:90)، وقال عن عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر:10)، إلى غير ذك من الآيات في هذا المعنى.

15- الدعاء واستخراج مكنون العبودية:

فالعبد يكثر من الدعاء في الشدائد لحاجته وفقره إلى الله ﷻ، **قال تعالى:** ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾(**الإسراء: 67**) فلا يتعلق العبد في حال الشدة بالأنداد والشركاء والأولياء، وإنما يتعلق بالله وحده، فيعلم أنه الحق وأنه المستحق لهذا التوجه والدعاء.

أخي الحبيب... ألم يخطر ببالك أن الله ربما يبتليك بالمصائب ليسمع صوتك وأنت تدعوه؟ ويرى فقرك وأنت ترجوه؟

فمن فوائد الابتلاء: استخراج مكنون العبودية في الدعاء، فسبحانه يبتلي ليُدْعى، فإذا دُعِي أجاب.

وفي الأثر: أن الله ﷻ ابتلى عبدًا من عباده، وقال للملائكة لأسمع صوته. (يعني بالدعاء والإلحاح)

وصدق من قال: ربما صحت الأجساد بالعلل.

فارفع يديك، وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلّك وضعفك.

جاء في كتاب الشكر ص: 132 عن وهب بن منبه –رحمه الله– قال:" ينزل البلاء ليستخرج الدعاء.

وقال سفيان بن عيينة–رحمه الله–:" ما يكره العبد خير له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه ". **(الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص:22)**

فعليك أخي الحبيب بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليرفع عنك ما نزل بك، فهو سبحانه قريب مجيب، يحب من عباده أن يسألوه، ويثيبهم على سؤالهم بالإجابة وبالثواب العظيم، والأجر الكبير.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ **(البقرة: 186)**، **وقال تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ **(غافر:60) (الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا)**

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ **(الأنبياء: 84-83)**

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ **(النمل: 62)**

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تدلّ على أن الله تعالى قريب مُجيب، حيي كريم، يجيب دعاء الداعين، وينفِّس كرب المكروبين. ويرفع البلاء عن المبتلين، لكن هناك مقصدًا آخر من الدعاء هو الخضوع والتذلل لله تعالى، فهو عبادة وترك الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالًا على ما قُدِّرَ، فيلزم ترك العمل جُملة.

16- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفعه بعد نزوله:

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" الدعاء ينفع مما نزل ومِمَّا لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء ". (صحيح الجامع:3409) (وصحيح الترمذي: 2813)

وأخرج الترمذي عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ". (صحيح الجامع: 7687)

قال الشوكاني-رحمه الله-عن هذا الحديث:" فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ". **(تحفة الذاكرين ص:29)**

وقال ابن تيمية-رحمه الله-:" الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق... والله أعلم. **(الفتاوى: 193/8)**

ومما يدل على أن الدعاء يرفع الوباء والبلاء:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال النبي ﷺ:" اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مُدِّنا وصاعنا[1]".

قال الخطابي–رحمه الله– وغيره: كان ساكنو الجحفة في ذلك الوقت يهودًا.

وقال ابن القيم–رحمه الله– كما في كتابه الجواب الكافي ص: 17: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن [2] وله مع البلاء ثلاث مقامات: **أحدها:** أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. **الثاني:** أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يُخفّفه وإن كان ضعيفًا. **الثالث:** أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه ". اهـ

أخرج الحاكم من حديث عائشة–رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال:" لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزلُ فيتلقاهُ الدعاء فيعتلجان[3] إلى يوم القيامة ". (صحيح الجامع: 7739)

قال الشوكاني–رحمه الله–:" ولهذا يجدر بالعبد إذا وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه، فإنه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله ورحمته، فإنَّ فتح أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء ". **(تحفة الذكرين ص: 28)**

1– الصاع: أربعة أمداد.

2– حديث: " الدعاء سلاح المؤمن " حديث ضعيف، رواه أبو يعلى، وهو قول مأثور عن الفضيل بن عياض – رحمه الله–.

3– يعتلجان: يتصادمان ويتدافعان.

17- الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين:

فالمظلوم أو المستضعف إذا انقطعت به الأسباب، وأغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكواه؛ نصره الله وأعزه، وانتقم له ممن ظلمه ولو بعد حين.

ولهذا دعا نوح- عليه السلام- على قومه عندما استضعفوه، وكذَّبوه، وردُّوا دعوته. وكذلك موسى- عليه السلام- دعا على فرعون عندما طغى، وتجبر، وتسلط، ورفض الهدى ودين الحق، فاستجاب الله له، وحاق بالظالمين الخزي في الدنيا، وسوء العذاب في العقبى. وكذلك الحال بالنسبة لكل من ظُلِم، واستُضْعِف، فإنه إن لجأ إلى ربه، وفزع إليه بالدعاء أجابه الله، وانتصر له وإن كان فاجرًا.

وقال الإمام الشافعي:

أتهـزأ بالـدعاء وتـزدريــه وما تدري بما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن لهـا أمــدٌ وللأمــد انقضـاءُ

(ديوان الشافعي ص:75)

18- الدعاء دليل على سمو النفس، وعلو الهمة:

فبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من مِنَّتِهم، فالمنة تصدع قناة العزة، وتنال نيلها من الهمة. وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مهيب الجناب، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأسُّ النجاح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ". اهـ **(العبودية ص:94)**

19- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها:

فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه فَيُفْتَح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظمَ من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال. (**انظر مدارج السالكين لابن القيم: 229/2**).

قال بعض العُبَّاد:" إنه لتكون لي حاجةٌ إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحبُّ معه أن يُؤخِّر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال". (**المصدر السابق: 229/2**)

20- الدعاء سبب لحصول المودة بين المسلمين:

فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب استجيبت دعوته، ودل ذلك على موافقة باطنه لظاهره، وهذا دليل التقوى والصدق والترابط بين المسلمين، فهذا مما يقوي أواصر المحبة، ويثبت دعائمها، **قال تعالى:** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ (**مريم: 96**)

21- الدعاء سبب لانشراح الصدر:

ففيه تفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، ولقد أحسن من قال:

وإني لأدعو اللهَ والأمرُ ضيِّقٌ عليَّ فمـا ينفـكُّ أن يتفرجـا

ورُبَّ فتىً ضاقت عليه وجوهُهُ أصاب له في دعوة الله مخرجا

(عيون الأخبار لابن قتيبة:287/2)

22- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء:

قال تعالى عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:250)، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ (البقرة:251).

23- تُنصر هذه الأمة بدعوة الضعفاء:

فقد أخرج النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّما يَنصرُ اللَّهُ هذِهِ الأمَّةَ بضَعيفِها، بدَعوتِهِم وصَلاتِهِم، وإخلاصِهِم ". (صحيح النسائي:3178)

24- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات:

فدعاء الإنسان لربه متضمن إيمانه بوجوده، وأنه غني، سميع، بصير، كريم، رحيم، قادر، مستحق للعبادة وحده دون من سواه.

كان حمدون القصَّار يقول:" استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون ".

25- الدعاء سبب لمغفرة الذنوب:

فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال اللهُ تعالى:" يا ابنَ آدَمَ، إنَّك ما دَعَوتَني ورَجَوتَني غَفرتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، لو بلغتْ ذُنوبُك عَنانَ السماءِ، ثم استغفَرْتَني غَفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، إنَّك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لَقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابِها مَغفِرةً ".

26- وأخيرًا: الدعاء وصية النبي ﷺ لأمته:

يتبين لك أخي الحبيب بعد ما مر بك من فوائد وفضائل الدعاء؛ أن الدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، لذا كان الحبيب العدنان يوصي أمته به.

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" الدعاء ينفع مما نزل ومِمَّا لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء ". (صحيح الجامع:3409) (وصحيح الترمذي: 2813)

فلا تضيعوا وصية النبي ﷺ.

27- الدعاء مفتاح السعادة، وأصل كل خير:

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه ": الفوائد ص:١٢٧": " أساسُ كلِّ خيرٍ أن تعلَم أنَّ ما شاء اللهُ كان وما لَم يشأ لَم يكن، فتيقَّن حينئذٍ أنَّ الحسناتِ مِن نِعمه فتشكرَه عليها وتتضَرَّعَ إليه أن لا يقطعَها عنك، وأنَّ السيِّئاتِ مِن خذلانِه وعقوبتِه، فتَبْتَهِلَ إليه أن يَحُولَ بينك وبينها، ولا يَكِلَكَ في فعلِ الحسنات وترك السيِّئات إلى نفسِك، وقد أَجْمع العارفون على أنَّ كلَّ خيرٍ فأصلُه بتوفيقِ الله للعبد، وكلَّ شرٍّ فأصلُه خذلانه لعبده، وأجمعوا أنَّ التوفيقَ أن لا يكِلَك الله إلى نفسك، وأنَّ الخذلانَ هو أن يخلي بينَك وبين نفسك، فإذا كان كلُّ خيرٍ فأصلُه التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبدِ؛ فمفتاحُه الدعاءُ والافتقارُ وصدقُ اللَّجَأ والرغبةِ والرهبةِ إليه، فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلَّه عن المفتاح بقي بابُ الخير مُرْتَجًّا دونه... وما أُتي مَن أُتي إلاَّ مِن قِبَل إضاعة الشكرِ وإهمالِ الافتقار والدعاء، ولا ظَفِرَ مَن ظَفِرَ- بمشيئة الله وعونِه - إلاَّ بقيامه بالشكرِ وصدقِ الافتقارِ والدعاء ". اهـ

وأخيرًا أخي الحبيب... عليك أن تكثر من الدعاء في رمضان:

وقد ذكر الله تعالى الدعاء بعد ذكر آيات الصيام فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة:185،186)

يقول ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره:219/1":" ذكر الله تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشادًا إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وكذا كل فطر".

أخي الصائم لا تنس الدعاء في هذه المواطن:

أ– عند رؤية الهلال:

فقد أخرج الترمذي وأحمد والدارمي من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا رَأى الهلالَ قالَ: اللَّهمَّ أَهِلَّه علَينا باليُمنِ والإيمانِ، والسَّلامَةِ والإسلامِ، ربِّي وربُّكَ اللَّهُ ". (صحيح الترمذي: 3451)

وقَوْلِه ﷺ:" اللَّهُمَّ أَهِلَّه عليْنا باليُمْنِ والإيمانِ، والسَّلامةِ والإسْلامِ"، أي: اجْعَلْ ظُهورَ الهِلالِ مُصاحِبًا للخَيرِ والبَرَكةِ ولدَوامِهما وبَقائِهما فينا، والسَّلامةِ مِن كلِّ سُوءٍ وضُرٍّ يُصيبُنا، وحِفْظِنا مُؤمِنينَ مُسْلِمينَ، **"رَبِّي ورَبُّك اللهُ"**؛ فهو المُستحِقُّ أنْ يُتَوجَّهَ له بالدُّعاءِ والرَّجاءِ، وهذا بَيانُ أنَّ الهِلالَ كغَيْرِه مِن مَخْلوقاتِ اللهِ التي لا تُشارِكُه في شَيءٍ، فهو اللهُ الواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ. **(الدرر السنية)**

ب– الدعاء في وقت الصيام:

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد [1] قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ لله عتقاءَ في كلِّ يوم وليلة، لكلِّ عبد منهم دعوةٌ مستجابة ".

1– قال محقق المسند: 420/12: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والشك في صحابي الحديث لا يضر.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: " يعني في رمضان " (أطراف المسند لابن حجر:203/7)

وعند البزار عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ – يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ– ، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1002)

فالصائم له دعوة مستجابة كما بَيَّن هذا الحبيب النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ". (صحيح الجامع:3030) (الصحيحة: 1797)

قال المناوي–رحمه الله–:" ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ" أي: عند الله تعالى إذا توفرت شروطها[1]." دَعْوَةُ الصَّائِمِ" حتى يفطر، ومراده كامل الصوم الذي صان جميع جوارحه عن المخالفات، فيجاب دعاؤه لطهارة جسده بمخالفة هواه ". (فيض القدير للمناوي:٣/ ٣٠٠)

وأخرجه البيهقي أيضًا عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ". (صحيح الجامع: 3032) (الصحيحة:١٧٩٧)

فأعظم به من دعاء تنطق به شفاه ذابلة من الصيام، يصعد إلى السماء فما يرده الرحمن بكرمه.

1– بأن لا يدعوا بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعوا على نفسه أو ولده، وأن يستفتح دعائه بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي ويسلم على النبي ﷺ، ويختم دعائه أيضًا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأن يستحضر قلبه أثناء الدعاء، فذلك أرجى للقبول.

جـ- الدعاء عند الفطر:

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حتى يُفْطِرُ – وفي رواية–: حين يفطر– وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ".(صحيح ابن ماجه: 1432) (حسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار)

فالصائم دعاؤه مستجاب طول فترة صيامه، وكذلك دعوته مستجابة حين يفطر، وهذا في صيام الفرض والنفل. فينبغي علي الصائم أن يكون حريصًا علي الدعاء أثناء الصيام وعند الفطر، فيدعو أن يتقبل الله صيامه، ويدعو لنفسه ولأهله بخيري الدنيا والآخرة، ويدعو لأولاده بالصلاح، ولأمته بالفلاح والنصر والتمكين.

تنبيهات:

1- الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–عن النبي ﷺ قال:" إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد ". (حديث لا يصح).

والثابت أن دعوة الصائم في كل وقته لا ترد بإذن الله. فلما نضيق واسعًا؟! حتى إن كثيرًا من الصائمين لا يدعون إلا وقت الفطر فقط. فالأحاديث تشمل وقت الصيام كله وحين الفطر.

فعلى المسلم أن يدعو ويجتهد في الدعاء حال صيامه وعند إفطاره ويدعو بما شاء من أمور الآخرة وما يباح من أمور الدنيا.

2- يستحب أن يقال عند الفطر: ذَهَبَ الظَّمأُ وابتلَّتِ العُروقُ وثبَتَ الأجرُ إن شاءَ اللَّهُ.

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود بسند حسن عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ:" ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ". (صحيح أبي داود:2357) (صحيح الجامع:٤٦٧٨)

وفي هذا الذكر اعتراف بفضل الله تعالى في إذهاب الجوع والظمأ والإنعام بالطعام

والشراب، فلله الحمد والمنة. والبعض يقول هذا الدعاء قبل أن يُطعم أو يَشرب شيئًا، وهذا خطأ، فإن هذا الدعاء يُقال بعدما يفطر الصائم أما على رطب أو تمرات أو يشرب شربة ماء، بدليل قوله ﷺ:" **ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ**"

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَة: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو–رضي الله عنهما–يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي ". (رواه ابن ماجه)

3– هناك أحاديث ضعيفة يرددها البعض عند الإفطار، **ومنها حديث رواه أبو داود عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ:" اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ".**

– وفي رواية عند الطبراني في الصغير والأوسط عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال:" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ".

وهذا الحديث قال عنه الإمام الشوكاني–رحمه الله– في نيل الأوطار والحافظ ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير: إسناده ضعيف، وقال عنه الإمام الألباني في إرواء الغليل: حديث ضعيف.

ملاحظة: يضيف البعض للدعاء السابق عبارة (وبك آمنت وعليك توكلت): وهذه الزيادة لا أصل لها، **قال علي القاري في" مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح":"** فزيادة، (وبك آمنت) لا أصل لها وإن كان معناها صحيحًا، وكذا زيادة (وعليك توكلت)

وأيضًا هناك حديث أخرجه الطبراني في الكبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: اللهم لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ضعفه الألباني في "الإرواء": ٤/٣٦)

د– الدعاء وقت السحر:

فالناس في شهر رمضان في صيام وقيام، وغالب أحوالهم أنهم يسهرون ويدركون وقت السحر، ومع ذلك لا يستغلون هذه الفرصة العظيمة وقت نزول المَلِك ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، **فيقول:" أنا الملك. أنا الملك. مَن الذي يدعوني**

فاستجيب له، مَن الذي يسألني فأعطيه، مَن الذي يستغفرني فأغفر له ". – وفي لفظ مسلم:" حتى ينفجر الفجر".

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:" إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ".

هـ– الدعاء ليلة القدر:

أخرج الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى" وابن ماجه وأحمد واللفظ له عن عائشة–رضي الله عنها– قالت: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ! أرأيْتَ إنْ وافَقتُ لَيلةَ القَدْرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: قولي:" اللَّهمَّ إنَّكَ عَفوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ ".

وقوله ﷺ:" **اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ**"، والعفْوُ هو التَّجاوُزُ عن السَّيِّئاتِ،" **تُحِبُّ العفْوَ**"، أي: تُحِبُّ ظُهورَ هذه الصِّفةِ،" **فاعْفُ عنِّي**"، أي: تجاوَزْ عنِّي واصفَحْ عن زَلَلي؛ فإنِّي كثيرُ التَّقصيرِ، وأنت أَولى بالعفْوِ الكثيرِ، وعفْوُ اللهِ تعالى يكونُ في الدُّنيا والآخرةِ، وهذا مِن آدابِ الدُّعاءِ؛ أنْ يُثنِيَ العبدُ على ربِّه سُبحانَه بصِفةٍ تُناسِبُ طَلَبَه، وهذا الدُّعاءُ مِن جوامعِ الكلِمِ، ومَن دَعا به حاز خَيرِي الدُّنيا والآخرةِ. **(الدرر السنية)**

الوصية الرابعة: أوصيك بكثرة الذكر والاستغفار في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان:

يقول ابن القيم–رحمه الله– في كتابه" مدارج السالكين:421/2":" الذِّكر منشورُ الولاية، الذي من أُعطيه اتّصل، ومن مُنِعه عُزِل، وهو قوتُ قلوبِ القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارةُ ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا. وهو منزلُ القوم الذي منه يتزودون، وفيه يَتَّجرون، وإليه دائمًا يترددون، وهو سلاحُهم الذي يقاتِلون به قُطَّاع الطريق، وماؤهم الذي يُطفِئون به التهابَ الطريق، ودواءُ أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسببُ الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب.

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُمُ وَنَتْرُكُ الذِّكرَ أحيانًا فننتكسُ

وبالذكر يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهونُ عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مفزعُهم، فهو رياض جنَّتِهم التي فيها يتقلَّبون، ورؤوسُ أموال سعادتهم التي بها يتَّجرون، يدعُ القلبَ الحزين مسرورًا. والذكر عبوديةُ القلب واللسان، وهي غيرُ مؤقتةٍ، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قِيعان، وهو غِراسها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتُها وأساسها. وهو جِلاءُ القلوب وصِقالُها، ودواؤها إذا غَشِيَها اعتلالُها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذِكره استغراقًا ازداد المذكورُ محبةً إلى لقائه واشتياقًا، زيَّن الله به ألسِنةَ الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين. وهو بابُ الله الأعظم المفتوحُ بينه وبين عبده، ما لم يُغلِقه العبد بغفلته ". اهـ

والذكر والاستغفار مشروعان طوال العام، ليس له وقت محدد، ولا هيئة معينة، ولا مكان مخصوص.

قال ابن عباس–رضي الله عنهما–:" إن الله لَم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عَذَر أهلَها في حال العُذرِ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يَعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله ".

إلا أن الإنسان يزداد من الذكر والاستغفار في وقت النفحات، كشهر رمضان وغيره من مواسم الطاعات.

والذكر فله فضائل كثيرة، وفوائد عظيمة[1]:

1- الله تعالى يذكر من يذكره:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ **(البقرة:152)**

يقول أهل العلم: لو لم يكن في الذكر من الفضائل إلا هذه الآية لكانت كافية في الحث على لزومه والإكثار منه. وليس العجب من فقير يلجأ إلى غني، ولا من ضعيف يلجأ إلى قوي، وليس العجب من قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إنما العجب من قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فمن نحن حتى يذكرنا الله سبحانه إن ذكرناه، بل ذكره لنا أكبر وأفضل من ذكرنا له.

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-:" ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ". (تفسير ابن كثير: 465/1)

ودليل ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك؛ ذكرتُك في نفسي، وإن ذكرتني في مَلإٍ ذكرتك في مَلإٍ من الملائكة أو في مَلإٍ خير منهم، وإن دنوتَ منِّي شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوتَ منِّي ذراعًا دَنَوتُ مِنكَ بَاعًا، وإن أتيتني تَمشي أَتيتُكَ أُهَرْوِلُ". (صحيح الجامع: 4337) (وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

إن ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ، ولا يعَبِّر عن شكره إلا سجود القلب.

يقول يحيى بن معاذ-رحمه الله-:" يا غَفُول يا جَهُول! لو سمعتَ صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك لَمُتَّ شوقًا إلى مولاك ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم: 56/10)**

1- هناك رسالة للمؤلف عن" فضل الذكر" ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمور.

وقال الحسن البصري–رحمه الله–:" إنَّ الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره" فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

فذكر الله سبب لذكره لكَ في الملأ الأعلى، وكفى بهذا شرفًا.

2–كثرة الذكر سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة:10)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾:" أي في حال قيامكم، وقعودكم وعلى جنوبكم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح ". اهـ

3–كثرة الذكر سبب للمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:35)

قال السعدي–رحمه الله–في تفسيره 163/4:" وقوله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أي: في أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة؛ كالصباح والمساء، أو بالصلوات المكتوبات، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم﴾ أي لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، والتي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، وبالإسلام والإيمان والإحسان، فجازاهم على عملهم ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدر قدرَه، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم ". اهـ

4- الذكر راحة وطمأنينة للقلب:

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:28) وإذا اطمأن القلب انشرح الصدر، وارتاح البال وأنِسَ بالله، وسعد في الدنيا والآخرة، وهذا هو عين الفلاح، الذي أرشدنا تعالى إلى تحصيله؛ وذلك بكثرة ذكره، **فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:45)**

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره:" وقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾** [1] أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** أي: حقيقٌ بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له ". اهـ

5- والذكر وصية النبي ﷺ:

لِعِلْمِ النبي ﷺ بفضل ومكانة الذكر كان يُوصِي به.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن بُسْر ﷺ: أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كَثُرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به[2]. قال:" لا يَزالُ لِسانُك رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللهِ ". (صحيح الجامع: 7700) (صحيح الترمذي: 3375)

1- وقفة: قال البغوي – رحمه الله-:" فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}. (الأنفال:2) فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؛ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذُكرت فضل الله وثوابه وكرمه". اهـ

2- أتشبث به: أي أتعلق به.

قال الطيبي–رحمه الله–:" وقوله ﷺ:" لا يَزالُ لِسانُك رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللهِ" ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يُبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر، فكأنه ﷺ قال: دوام الذكر، **فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:102)**

6– الذكر من أحب وأفضل الأعمال إلى الله تعالى:

فقد أخرج ابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث مُعاذ بن جَبَلﷺ قال: آخِرُ كلام فَارَقْت عَليه رَسُول الله ﷺ: أَنْ قُلْتُ: أيُّ الأعمَال أَحَبُّ إلى الله؟ قال:" أن تموتَ ولِسانُك رَطْبٌ مِن ذِكرِ اللهِ ". (صحيح الجامع: 165) (صحيح الترغيب والترهيب: 1492)

7– الذكر سبب لمحبة الله تعالى:

فالذكر محبب إلى الله تعالى والله يحب مَنْ يَذكُرُه.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ ".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في الفتح:" وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها المستقيم ".

اهـ

8– ذكر الله هو أفضل الأعمال عند الله وأزكاها، وخير من كثير من أعمال البر:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا

أعْناقكُم؟!" قالوا: بَلَى يا رَسُولَ الله، قال:" ذِكْرُ اللهِ[1]". (صحيح الترمذي: 3377) (صحيح الجامع: 2629) (صحيح الترغيب والترهيب: 1493)

وأخرج الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن عجزَ منكُم عنِ اللَّيلِ أن يُكابِدَهُ، وبَخِلَ بالمالِ أن يُنْفِقَهُ، وجبُنَ عنِ العَدوِّ أن يجاهدَهُ، فليُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1496)

وقال المناوي–رحمه الله– في فيض القدير:" فإن جميع العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وغيرهما وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله، والذكر هو المقصود الأعظم، والقلب الذي تدور عليه رَحا جميع الأديان ". اهـ

1– قال العز بن عبد السلام في كتابه القيم "قواعد الأحكام في مصالح الأنام":" 50/1" هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها. ومما يدل على هذا حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" ألا أنبئكم..." فذكر الحديث. ثم قال: ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" مَنْ قال حِينَ يُصبِحُ وحِينَ يُمسِي: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحمدِهِ، مِائةَ مَرَّةٍ، لَمْ يأتِ أحدٌ يومَ القِيامةِ بأفْضلَ مِمَّا جاء به، إلَّا أحَدٌ قال مِثلَ ما قال أو وزادَ عليْهِ". (أخرجه مسلم في "صحيحه). وكذلك قوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ". (أخرجاه في الصحيحين) والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف، فإن تساوي العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما لقول الله تعالى:" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ". اهـ

قال الشيخ مصطفى العدوي–حفظه الله–: ومما يؤيد ما قاله العز بن عبد السلام أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات قوله ﷺ لجويرية رضي الله عنها:" لَقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ مُنْذُ اليَومِ لَوَزَنَتْهُنَّ"، وما جاء عنه ﷺ في فضل قل هو الله أحد: أنها تعدل ثلث القرآن. وما جاء عنه ﷺ في فضل آية الكرسي وسورة الفاتحة وغير ذلك.

9- الذكر خير ما يكنِز الإنسان:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث ثَوْبَان ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال له بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة. لو عملنا أي المال خَيْرٍ فَنتَّخِذهُ؟ فقال:" أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذاكِرٌ، وقَلْبٌ شاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ على إِيمَانِهِ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1499)

10- أهل الذكر تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتتنزل عليهم السكينة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُريرة، وأبي سعيد-رضي الله عنهما- أنهُمَا شَهِدا على رسول الله ﷺ أنَّهُ قال:" لا يَقْعُدُ قومٌ يّذْكُرُون الله إلا حفتهم الملائكة، وغَشيَتهمُ الرحمةُ، ونزلتْ عليهمُ السَّكينَةُ، وذكَرهُم الله فِيمَنْ عِنْدَهُ ".

11- الله تعالى يصلي هو وملائكته على أهل الذكر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:41-43)

ومن صلى الله تعالى عليه والملائكة فقد أفْلَح كل الفلاح، وفاز كل الفوز. وصلاة الله تعالى المقصود منها هي الثناء على العبد في الملأ الأعلى كما ذُكر هذا في صحيح البخاري عن أبي العالية.

أما عن صلاة الملائكة فهي طلب المغفرة والرحمة والتوبة على الذاكر وقد بيَّن هذا النبي ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال:" صَلاَةُ الرَّجُلِ في جماعةٍ تزيدُ عَلَى صَلاَتِهِ في سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بضْعًا وعِشْرِينَ دَرَجَةً....". ثم قال:" فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كانَ في الصَّلاَةِ ما كَانَتِ الصَّلاَةُ هي تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ على أَحَدِكُمْ ما دَامَ في مَجْلِسِهِ الذي صَلَّى فيه يقولونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ له اللَّهُمَّ تُبْ عليه، ما لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، ما لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ".

12- الذكر سبب لراحة البال وطمأنينة القلب:

لأن الذاكر لله تعالى يوافق مخلوقات الله في توجهها إلى الله تعالى، **قال تعالى**: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء:44)

ومر بنا الحديث الذي أخرجه ابن السني وأبو نعيم في "الحلية" من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا تَستَقِلُّ الشَّمْس فَيَبْقَى شَيء مِنْ خَلْقِ اللهِ إلا سبَّح اللهَ بِحَمدِهِ، إلا مَا كَانَ مِنْ الشَيَاطِينِ، وَأَغبِيَاءُ بني آدم ". (صحيح الجامع: 5599)

قال ذو النون–رحمه الله–:" ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابت الجنةُ إلا برؤيته ".

13- بالذكر تُفتَحُ أبوابُ السماء:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما–: قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم:" الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا"، فقال رسول الله ﷺ:" مَنْ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟" قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال:" عَجِبْتُ لَهَا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ". قال ابن عمر–رضي الله عنهما–: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ".

14- الذكر سبب لإجابة الدعاء:

فقد أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاثةٌ لا يَرُدُّ اللهُ دُعاءَهم: الذاكرُ اللهَ كثيرًا، ودعوةُ المظلوم، والإمامُ الْمُقسِطُ ". (الصحيحة: 1211) (صحيح الجامع: 3064)

وأخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ

شيءٍ قَديرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ

15- كثرة الذكر أمان من النفاق:

فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:142)

قال كعب –رحمه الله–:" من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق ". اهـ

ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون:9)

16- الذكر أمان من اللعن:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذِكرُ الله وَمَا وَالاه وَعالمًا أو مُتعلِّمًا ". (صحيح الجامع: 1609)

17- الذكر أفضل من الدعاء:

يقول ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "الوابل الصيب ص157":" الذكر ثناءٌ على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائِه وأسمائِه، والدعاء سؤال العبدِ حاجته، فأين هذا من هذا؟ والذكر سبب لقبول الدعاء؛ فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضلُ وأقربُ إلى الإجابة من الدعاء المجرَّد ". اهـ بتصرف

18- الذكر يزيل الهم والغم، ويجلب للقلب الفرح والسرور:

مر بنا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:28)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمَتِك ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ

به نفسَك أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ هَمّي، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرجًا ". (الصحيحة: 199)

ومن أعرض عن ذكر الله تجده مضطرب القلب، خائفًا مستوحشًا، مهمومًا مغمومًا، لا يشعر بالراحة والسعادة والاطمئنان ووجد الغم والكرب والضنك، **قال سبحانه وتعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ **(طه:124)** فالذكر نُعصم به من الزلل، ونُستشفى به من العلل:

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُم ونتركُ الذِّكرَ أحيانًا فَنَنْتَكِسُ

19- الذكر حياة للقلوب والأبدان:

كما جعل الله تعالى من الماء كل شيءٍ حي، وجعل الروح حياة للجسد، فقد جعل الذكر حياة للقلب واطمئنانه. **فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ ".**

- وفي لفظ لمسلم:" مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، والْبَيْتِ الذي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري: 210/11": إن الذي يُوصَف بالحياة حقيقة هو الساكن لا الموطئ، وإن إطلاق الحيّ والميّت في وصف البيت إنما يُرادُ به ساكنُ البيت فشبَّهَ الذاكرَ بالحي الذي ظاهره مُتَزَيِّنٌ بنور الحياة، وباطنه بنور المعرفة، وغيرَ الذاكر بالبيتِ الذي ظاهره عاطل، وباطنه باطل ". اهـ

فَنِسيَانُ ذِكْـرِ اللهِ مَوتُ قلوبِهِـم وأَجْسامُـهم قَبْـلَ القُبـورِ قُبُـورُ

وأرواحهم فِي وَحشَةٍ مِن جُسومِهِم ولَيس لَهُـم قَبْـل النُّشُورِ نُشـورُ

(مدارج السالكين: 430/2)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ".

20- الذكر يعطي قوة للذاكر في بدنه:

فقد اخرج البخاري عن ابن أبي ليلى قال:" حَدَثَنَا عَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ – رضي الله عنها– شَكَتْ ما تَلْقَى مِن أثَرِ الرَّحَا، فأُتِيَ النَّبِيّ ﷺ بِسَبْيٍ فَانْطَلَقَتْ– لتطلب منه من يخدمها من السبايا– فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فأخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إلَيْنَا وقدْ أخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأقُومَ، فَقَالَ:" علَى مَكَانِكُمَا". فَقَعَدَ بيْنَنَا حتَّى وجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ علَى صَدْرِي، وقَالَ:" ألَا أُعَلِّمُكُما خَيْرًا ممَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إذَا أخَذْتُما مَضَاجِعَكُما تُكَبِّرَا أرْبَعًا وثَلَاثِينَ وتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، وتَحْمَدَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ؛ فَهو خَيْرٌ لَكُما مِن خَادِمٍ ".

قال ابن القيم–رحمه الله–:" لَقَدْ حَضَرتُ شَيْخَ الإسْلاَمِ ابنْ تيمية مرَّةً، بَعْدَمَا صَلَّى الفَجرَ ثم جلَسَ يذكُرُ اللهَ تعالى حتَّى انتَصَفَ النهارُ، ثم التَفتَ إليَّ، وقال: هذه غَدْوتي، ولو لم أتغَدَّ هَذَا الغَداءَ لسَقَطَتْ قُوَّتي".

21- الذكر شفاء لقسوة القلب:

عدم ذكر الله نتيجته قسوة القلب، وقاسي القلب مستحق لوعيد الله ﷻ **قال تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: 22،23)

قال رجل للحسن البصري –رحمه الله–: يا أبا سعيد: أشكو إليك قسوة قلبي، قال:" أدِّبْهُ بالذِّكْر".

وقال مكحول –رحمه الله–:" ذكر الله شفاء، وذكر الناس داء ".

22- الذكر يحفظ على الإنسان جوارحه:

فالذكر بمثابة الصدقة على البدن، وبه يُحفظ بإذن الله.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى[1] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِن ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُما مِنَ الضُّحَى ".

فكل مفصل من مفاصل ابن آدم عليه صدقة، لأن تركيبه على هذه المفاصل وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل مفصل منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون شكرًا لهذه النعمة، فإذا ذكر الله عدد المفاصل (وهي ثلاثمائة وستون) فقد تصدق على نفسه وحفظ الله عليه جوارحه.

23- الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والغش والبهتان وغير ذلك من آفات اللسان:

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الوابل الصيب ص:85:" الذكر سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لابد له من أن يتكلم، فإن لَمْ يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بِهَذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتَّة إلا بذكر الله تعالى ". اهـ بتصرف

1- سُلامَي: قال النووي: أصله عظام الأصابع وسائر الكف. ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله.

24- لا يخيب الذاكر مع الذكر:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث كعب بن عجرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مُعَقِّباتٌ[1] لا يَخِيبُ قائِلُهُنَّ – أوْ فاعِلُهُنَّ– دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلاثٌ وثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً، وثَلاثٌ وثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً، وأَرْبَعٌ وثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً ".

25- الذكر يطرد الشيطان:

الكل يعرف العداوة القديمة التي كانت بين الشيطان وآدم عليه السلام. ففي البداية عندما قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له: **فقال تعالى:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ **(الحجر:29)** ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ **(الأعراف:12،11)**

وكانت النتيجة أن طرده الله ﷻ من الجنة وجعله ملعونًا إلى يوم الدين. **فقال تعالى:** ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ **(ص:78،77)**

فإذا بالشيطان يطلب من الله ﷻ أن يتركه حيًّا إلى يوم البعث. **فقال:** ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ **(ص:79)** **فقال له ربُّ العِزَّة: {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} (ص:80)**

لكن يا تُرى لماذا طَلَبَ الشيطانُ أن يمكُثَ حيًّا إلى يوم القيامة؟ هو يُفصِح عن هذا فيقول: **{فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (ص:83،82)** إذًا هو طلب المكث في الدنيا إلى قيام الساعة من أجل إغواء بني آدم وصدهم عن الصراط المستقيم، فقال هذا الطريد اللعين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ **(الأعراف:16)**، فلا سبيل للتحرز والنجاة من هذا الشيطان إلا بذكر الرحمن.

1- مُعَقِّباتٌ: تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة.

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِهِنَّ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِهِنَّ...". فقال في الحديث:" إنَّ اللهَ أمَرني بخَمسِ كلماتٍ أن أَعمَلَ بِهِنَّ، وآمرُكم أن تَعمَلوا بهنَّ...". وفي الحديث:" وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَج العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَز نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكْرِ اللهِ".

(صحيح الجامع:1724) (صحيح الترغيب والترهيب:1498)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وحْدَهُ لا شَريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، في يَومٍ مائةَ مَرَّةٍ؛ كانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ له مائةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عنْه مائةُ سَيِّئَةٍ وكانَتْ له حِرْزًا مِنَ الشَّيْطانِ يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأَفْضَلَ ممَّا جاءَ، إلَّا أحَدٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ ".

والذكر كما هو حرز من الشيطان، فهو كذلك يطرده ويبعده، فيشعر الإنسان بالأنس والأمان طالما أن لسانه يَلهج بذكر الرحمن.

26- الله تعالى يعطي على الذكر ما لا يُعطي على غيره:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن قالَ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كانَ لَهُ عدلُ عشرِ رقابٍ[1]، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائةُ حَسنةٍ، وَمُحِيَ عَنهُ مِائةُ سَيِّئةٍ، وَكُانَتْ لَهُ حِرزًا منَ الشَّيطانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أحَدٌ بِأفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثرَ مِنْهُ".

1- عدلُ عشرِ رقابٍ: أي في ثواب عتقها.

وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن صَلَّى الفَجرَ في جَماعةٍ، ثمَّ قعَدَ يَذكُرُ اللهَ تَعالى حتّىَ تَطلُعَ الشَّمسُ، ثمَّ صَلَّى رَكعَتينِ، كانتْ كأجْرِ حَجَّةٍ وعُمرةٍ، تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ". (صحيح الجامع: 6346)

وأخرج الامام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ".

فالذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل للجهاد في سبيل الله، وتكفيرًا للخطيئات، وكثرة الحسنات. وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟! قالوا: بَلَى، قال: ذِكْرُ اللهِ ". (صحيح الجامع: 2629) (صحيح الترغيب والترهيب: 1493)

وأخرج البزَّارُ والطَبرَاني عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ عجزَ منكم عنِ اللَّيلِ أن يُكابدَه، وبخلَ بالمالِ أن ينفقَه، وجبنَ عنِ العدوِّ أن يجاهدَه فليُكثر ذِكرَ اللَّهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1496)

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعطي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحب، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أحبَّ، فَمَنْ ضَنَّ[1] بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ

1– ضَنّ: أي بَخِل.

أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فإنهنّ مُقدَّمَاتٌ مُجنّباتٌ وَهنَّ الباقياتُ الصَّالِحَاتُ"[1].

(صحيح الترغيب والترهيب: 1571) (الصحيحة:2714)

27- الذكر يجمع للعبد دنياه وآخرته:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سَعْدِ بِنْ أَبِي وَقَّاص ﷺ قال: جاءَ أَعْرَابِي إِلى النَبيّ ﷺ فقالَ:" علِّمْني كَلامًا أَقُولُهُ". قالَ:" قُل لاَ إله إلاَّ اللَّه وحدَهُ لا شريكَ لهُ، اللَّه أَكْبَرُ كَبِيرًا والحمْدُ للَّهِ كَثيرًا، وسُبْحانَ اللَّه ربِّ العالمِينَ، وَلاَ حوْل وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العَزيز الحكيمِ"، قَالَ هؤلاءِ لِرَبِّي فَما لِي؟ قَالَ: "قُل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحمني، واهْدِنِي، وارْزُقْني ". وزاد من حديث أبي مالك الأشجعي:" وعَافِنِي ".

- وَفِي رِوايَةٍ قال:" فإنَّ هؤلاء تَجْمعُ لَكَ دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ ".

1- وينبغي أن لا يُفهم من هذا الحديث ونحوه أن الاشتغال بالذكر أفضل من غيره من الأعمال في كل وقت، وفي كل حال، فقد يكون المفضول فاضلًا، وذلك بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، ومعرفة تفاضل الأعمال ومناسباتها، وهذا باب مهم من الفقه في الدين يؤدي الجهل به أو تجاهله إلى خلل في طريقة التعبد لله تعالى، لكن مما هو مجمع عليه بين العلماء أن ملازمة ذكر الله تعالى دائمًا هو أفضل ما شغل به العبد نفسه في الجملة والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة". (مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: 660/10)

فوقت الصلاة أفضل إذا دخل وقتها، ووقت الجهاد أفضل إذا نُودي حي على الجهاد، وهكذا سائر الأعمال.

- وقال بعض أهل العلم: إن الأعمال الصالحة؛ إما واجبات وإما مستحبات، فأما الواجبات فلا يسدَّها ولا يقوم مقامها شيء، وأما المستحبات فلا شك أن الذكر يسد أبوابها، وعليه يُحمل الحديث.

28- أهل الذكر هم أهل الكرم:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي من حديث أبي سعيد الخُدريّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القِيامةِ: سَيُعْلَمُ أهلُ الجمْعِ من أهلِ الكَرمِ، فقِيلَ: ومَن أهلُ الكَرمِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: أهلُ مَجالِسِ الذِّكرِ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1504)

29- أهل الذكر يباهي اللهُ بهم الملائكة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ من أَصحَابِهِ، فقال:

"مَا أَجْلَسَكُمْ؟" قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ونَحْمَدُهُ عَلَى ما هَدَانَا للإسْلامِ، ومَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قال:" آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إلا ذَلِكَ؟" قالوا:" آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إلا ذَلِكَ". قالَ:" أَمَا إنِّي لَمْ أستَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أتَانِي جِبْرَائِيل فَأخبَرَنِي أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ ".

30- الذكر يجعل صاحبه له السَبق في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سَبَقَ المُفَرِّدُونَ[1]"، قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال:" الذَاكِرونَ اللهَ كثيرًا والذاكرات ".

1- المفرِّدون: بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور التشديد، أي الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه، وبقوا هم يذكرون الله، قال ابن الأعرابي: فَرَّد الرجل إذا تفقه، واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

وقال ابن قتيبة وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله تعالى. (قاله النووي في شرح مسلم)

قال المناوي–رحمه الله– في فيض القدير: سبق المفردون: أي المنفردون المعتزلون عن الناس من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

وأخرج الإمام أحمد والضياء في "المختارة" من حديث عن عبد الله بن شداد أن نَفَرًا من بني عُذْرةَ ثلاثةً أَتَوُا النبي ﷺ فأسلَمُوا. قال: فقال النبي ﷺ:" مَن يَكْفِينيهِم؟" قال طلحة:" أنا" قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بَعثًا، فخرج فيه أحدُهم، فاستُشهِد، قال: ثم بعَثَ بعثًا، فخرج فيهم آخَرُ، فاستُشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة:" فرأيت الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامَهم، ورأيت الذي استُشهِد أخيرًا يليه ورأيت الذي استُشهد أوَّلَهم آخِرَهم" قال:" فدخلني من ذلك" قال:" فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له"، قال: فقال رسول الله ﷺ:" وما أنكرتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيسَ أَحَدٌ أفضلَ عند الله من مُؤمِنٍ يُعَمَّرُ في الإِسلامِ لتسْبيحِهِ، وتَكبِيره، وتَهْلِيلِه ".

– وفي رواية:" ويُكْثِر تكْبيره وتَسْبِيحَه وتَهْلِيلَه وتَحْمِيدَهُ ".

(قال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده صحيح) (الصحيحة: 654)

فالمؤمن إذا مَدَّ الله له في أجله فعمَّرَ أوقاته بالأعمال الصالحة مع كثرة الذِّكر من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، فهذه ترفع درجاته في الجنة حتى ربما ارتفع فوق مقام من سبقه بالشهادة[1].

1– ويدلك على هذا أيضا ما رواه ابن ماجه من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال:" أسلم رجلان من بلي... الحديث".

31- الذكر يغفر الله به الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:35)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ".

وفي رواية:" من قال حين يُمسي وحين يُصبح...". الحديث

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، وقالَ: تَمامَ المائَةِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطاياهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[1]".

وأخرج الترمذي من حديث أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشجرةِ ". (صحيح الجامع: 1601)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَكَلَ طَعامًا فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذي أطعَمَني هَذا الطَّعامَ ورَزَقَنيه مِنْ غيرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قوةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقَدَّمَ مِن ذَنْبِه... ". الحديث (صحيح الجامع: 6086)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِنْ قومٍ اجتَمعوا يذْكُرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُريدُونَ بذلك إلَّا وجْهَهُ إلَّا ناداهُم مُنادٍ من

1- زَبَدُ البحر: أي رَغْوَتُه، وقوله (وإن كانت مثل زبد البحر): أي في الكثرة والعظمة مثل زبد البحر، وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه.

السَّماءِ أن قوموا مغفورًا لكم قد بُدِّلتْ سيِّئاتُكم حسناتٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1504)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث عبد الله عن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" ما علَى الأرْضِ أحدٌ يقولُ: لاَ إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إلَّا باللَّهِ، إلَّا كُفِّرَت عنهُ خطاياهُ وَلوْ كانت مثلَ زبدِ البحرِ ". (صحيح الجامع: 5636)

ورواه الحاكم بزيادة وفيه:" ما على الأرض أحدٌ يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إله إلاَ اللهِ... الحديث (صحيح الترمذي: 3460) (صحيح الترغيب والترهيب: 1569)

32– الذكر يكتب الله به الحسنات:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنَّا عند رسول اللهِ ﷺ فقالَ":أيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَومٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟" فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ:" يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عنْه أَلْفُ خَطِيئَةٍ".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة–رضي الله عنهما– قالا: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَ اصْطفَى مِنْ الكَلامِ أرْبعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ وَاللهُ أكْبَرُ. فمَنْ قال: سُبحانَ اللهِ كُتِبَتْ لهُ عِشرُونَ حسَنةً، وَحُطَّتْ عنهُ عِشرُونَ سيِّئَةً. ومَنْ قالَ: اللهُ أكْبرُ، مِثلَ ذلِكَ. ومَنْ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ مِثلَ ذلِكَ، ومَنْ قالَ: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لهُ ثلاثُونَ حَسَنةً وَحُطَّ عنْهُ ثلاثُونَ خَطيئَةً ". (صحيح الجامع: 1718)

33- الذكر سبب للنجاة من عذاب الله:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا عَمِلَ آدَميٌّ عملًا قَطُّ أنجى له مِن عَذابِ اللهِ مِن ذِكرِ اللهِ ". (صحيح الجامع: 5644) (صحيح الترغيب والترهيب:1493)

ورواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا عمِل آدمِيٌّ عَملًا أنْجَى لهُ مِنَ العذابِ مِنْ ذِكرِ اللهِ"، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قالَ:" وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَن يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ ". (صحيح الترغيب والترهيب:1497)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى – فإنَّه يَمْشِي يَومَئِذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ". قال أبو توبة: وربما قال:" يُمْسِي".

وأخرج النسائي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خُذُوا جُنَّتَكم[1]مِنَ النَّارِ، قولُوا سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلهَ إلَّا اللهُ، وَاللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتين يَومَ القِيَامةِ مُقدِمَاتٍ[2]، وَمُعَقِّباتٍ[3]، وَمُجَنِّباتٍ[4] وَهُنَّ البَاقِياتُ الصَالحَاتُ[5]". (صحيح الجامع:3214)

1- جنتكم: بضم الجيم وتشديد النون، أي: ما يستركم ويقيكم من النار.

2- مقدمات: أي يتقدمن صاحبها يوم القيامة.

3- معقبات: بكسر القاف المشددة، أي: تتعقبكم وتأتي من ورائكم، ويحتمل أن يكون بفتح القاف ومعناه تعقبوهن يوم القيامة في الإتيان. واتلوهن؛ وقيل: هنَّ كلمات يأتي بعضها عقب بعض.

– **وفي رواية الحاكم:**" **مُنْجِيَاتٍ**" بتقديم النون على الجيم.

– **وكذا رواه الطبراني في الأوسط، وزاد:**" **وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ** ".

– **ورواه في الصغير وجمع بين اللفظين، فقال:**" **وَمُنْجِيَاتٍ، وَمُجَنِّبَاتٍ** ".

قال ابن القيم–رحمه الله– كما في "الوابل الصيب ص109":"الذِّكرُ سدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق لعمل من الأعمال؛ كان الذكر سدًّا في ذلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملًا كان سدًّا محكمًا لا مَنفَذ فيه ". اهـ

قال الرازي–رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (**الأعراف:179، 180**)

فقال–رحمه الله–:"إنَّ الموجِبَ لِدُخُولِ جَهَنَّمَ هو الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، والمخَلِّصُ عَنْ عَذابِ جَهَنَّمَ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى، وَأصْحابُ الذَّوْقِ والمشاهَدَةِ يَجِدُونَ مِن أرْواحِهِمْ أنَّ الأمْرَ كَذَلِكَ فَإنَّ القَلْبَ إذا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وأقْبَلَ عَلى الدُّنْيا وَشَهَواتِها، وَقَعَ في بابِ الحِرْصِ وزَمْهَرِيرِ الحِرْمانِ، ولا يَزالُ يَنْتَقِلُ مِن رَغْبَةٍ إلى رَغْبَةٍ، وَمِن طَلَبٍ إلى طَلَبٍ، وَمِن ظُلْمَةٍ إلى ظُلْمَةٍ، فَإذا انْفَتَحَ عَلى قَلْبِهِ بابُ ذِكْرِ اللَّهِ ومَعْرِفَةِ اللَّهِ تَخَلَّصَ مِنْ نِيرانِ الآفاتِ وَمِنْ حَسَراتِ الخَساراتِ، واسْتَشْعَرَ بِمَعْرِفَةِ رَبِّ الأرْضِ والسَّماواتِ".

4– مجنبات: بتشديد النون وفتحها: أي مقدمات بين أيديكم يوم القيامة.

5– الباقيات الصالحات: أي التي تنفع صاحبها بعد موته، فهي باقية لصاحبها في المعاد وحين الحاجة.

34- الذكر أمان من الحسرة يوم القيامة:

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" مَنْ قَعَد مَقعدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ كَانِ عَلِيه مِنْ اللهِ تِرَةٌ، ومَنْ اضطَجَعَ مُضَّجَعًا لا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَت عَلَيهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَا مَشَى أَحدٌ مَمْشَى لِمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ إِلَّا كَان عَلَيه مِنَ اللهِ تِرَةٌ ". (صحيح الجامع:6477) (الصحيحة:78) (صحيح الترغيب والترهيب:611)

وفي رواية:" مَنْ اضطَجَعَ مُضَّجَعًا لم يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ كَانَ عَلَيه تِرَّةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لم يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ كَانَ عَلَيه تِرَّةً يَوْمَ القِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:6043)

وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ:" مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، فَلَمْ يَذْكُروا اللهَ فيه، إلا كَان عليهِم تِرةً، وما مِنْ رَجلٍ مَشَى طَرِيقًا، فَلَم يَذكُر الله عز وجل إلَّا كانَ عليهِ تِرةً، وما مِنْ رَجُلٍ أوى إلى فِراشِهِ، فَلَمْ يَذْكُرِ الله، إلَّا كانَ عليهِ تِرةً ". (الصحيحة: 79)

وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث مُعاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لَيْسَ يَتحَسَّر أَهْلُ الجَنَّةِ إلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالى فِيهَا[1]".

(صحيح الجامع: 5446) (الصحيحة:2197)

وأخرج البيهقي من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ يقول:" مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بابن آدَمَ لَمْ يَذْكُر الله فِيهَا بِخَيرٍ إلا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:5720)

(قال البيهقي:" في هذا الإسناد ضعفٌ غير أن له شواهدَ من حديث مُعاذ).

1- تردد الشيخ الألباني رحمه الله في صحة هذا الحديث فقال: في صحيح الجامع: هو أقرب إلى الضعف". اهـ. وهو بالفعل إلى ضعفه أقرب.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما مِنْ قومٍ يقومون مِنْ مَجْلِسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيه؛ إلا قاموا عَنْ مِثْلِ جيفةِ حِمارٍ، وكان لهم حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:5750) (الصحيحة:77)

قال عمر بن عبد الله–رحمه الله– مولى غفرة بنت رباح –أخت بلال–:" إِذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ للنَاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ، لَمْ يَرَوْا أَفْضَلَ مِنَ الذِّكْرِ، فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَقْوَامٌ فَيَقُولُونَ: مَا كَانَ شَيءٌ أَيْسَرَ عَلَيْنَا مِنَ الذِّكرِ".

35– الذكر يثقل الموازين:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كَلِمَتانِ حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ: سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الطُّهورُ[1]شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ: تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بَخٍ بَخٍ[2] لخَمسٍ ما أَثقلَهُنَّ في الميزانِ؛ لا إله إلَّا اللهُ، وَسبحانَ اللهِ، وَالحمدُ للهِ، وَاللهُ أكبرُ، والوَلَدُ الصَّالحُ يُتَوَفَّى لِلمرءِ المسلمِ فَيحتسِبُه"

(صحيح الجامع:2817) (الصحيحة:1204)

1– الطُّهورُ: بضم الطاء: يعني الطهارة.

2– بَخٍ بَخٍ: كلمة تُقال لتعظيم الأمر وتفخيمه وبيان الرضا به، وتُكرر للمبالغة. (النهاية في غريب الحديث: 101/1)

36- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ[1]".

فالشاهد من الحديث قول النبي ﷺ:" ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

37- الذكر سبيل للفوز بالجنة:

فقد أخرج أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَالَ رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وَبِمُحمدٍ ﷺ نبيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة ". (صحيح الجامع:6428)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قلتُ: يَا رِسولَ اللهِ: ما غَنِيمة مَجَالسِ الذِّكْرِ؟ قال:" غَنِيمة مَجَالِسِ الذِّكرِ الجَنَّة ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1507) (الصحيحة:3335)

1- قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في "فتح الباري:172/2":" وقوله ﷺ: (ورجل ذكر الله) أي بقلبه فيكون من (التذكر) أو ذكره بلسانه فيكون من (الذكر)، وقوله: (خاليًا) أي من (الخُلُوّ) لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء. وقوله: (ففاضت عيناه): أي فاضت الدموعُ من عينيه".

- قال القرطبي - رحمه الله-: وفيض العين بحسب حال الذاكر، وبحسب ما يُكشَفُ له: ففي حالِ أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصافِ الجمال يكون البكاء من الشوق إليه. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: قد خُصَّ في بعض الروايات بالأول (أي البكاء من خشية الله). اهـ

38- الذكر غراس الجنة:

فقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أسريَ بي فقالَ: يا محمَّدُ أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبَةُ الماءِ وأنَّها قِيعانٌ[1]وأنَّ غِراسَها سبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، ولا إلهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ".(صحيح الجامع:5152) (الصحيحة:105)

ورواه الطبراني عن سَلْمَان ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ في الجنَّةِ قيعانًا؛ فأكثِروا من غراسِها". قالوا يا رسولَ اللهِ وما غراسُها؟ قال:" سُبحانَ اللهُ والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ".

وأخرج ابن ماجه والحاكم أن النبي ﷺ مرَّ بأبي هريرة ﷺ وهو يغرس غرسًا فقال:" يا أبا هريرةَ ما الذي تغرسُ؟" قلتُ: غراسًا لي، قال:" ألا أدلُّكَ على غراسٍ خيرٌ لك من هذا؟" قال: قلت: بلى يا رسولَ اللهِ، قال:" قل سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، يُغرسُ لك بكلِّ واحدةٍ شجرةٌ في الجنةِ ". (صحيح الجامع:2613)

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وبِحَمْده، غُرِسَت لَه نَخْلَةٌ في الجَنَّة ". (صحيح الجامع:6429)

أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به مرَّ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال:" من معك يا جبريل؟" قال:" هذا محمد"، فقال له: يا محمد مُرْ أمتك فليكثروا من غِراس الجنة، فإن تُربَتها طَيِّبَةٌ، وأرضُهَا واسِعَة، قال ﷺ:" وَمَا غِرَاسُ الجَنّةِ؟" قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ". (صحيح الترغيب والترهيب:1583)

1- قيعان: بكسر القاف، جمع قاع، وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر (قاله صاحب تحفة الأحوذي)، وقال ابن الأثير: القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء ليمسكه ويستوي نباته. (النهاية في غريب الحديث:4/132)

وعند الطبراني من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" أَكثِروا من غِراسِ الجنَّةِ؛ فإنه عَذبٌ ماؤها، طَيِّبٌ ترابُها، فأَكثِروا من غِراسِها". قالوا: يا رسولَ اللهِ! وما غراسُها؟ قال:" مَا شَاءَ اللهُ، لَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا بِاللهِ ". (صحيح الجامع: 1213)

39– أهل الذكر لهم مكانة عند الله يغبطهم عليها النبيون والشهداء:

فقد أخرج الطبراني من حديث عَمْرِو بن عَبَسَة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" عَنْ يمينِ الرحمنِ، وكِلْتا يديْهِ يمينٌ؛ رجالٌ ليسوا بأنبياءَ، ولا شُهَدَاءَ يَغْشَى بياضُ وجُوهِهِمْ نظرُ الناظرينَ، يَغْبِطُهُمُ النبيونَ والشهداءُ، بِمَقْعَدِهِمْ وقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ ﷻ". قيلَ: يا رسولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قال:" هَمْ جُمَّاعٌ[1] مِنْ نوازِعِ القبائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، فينتقونَ أطايِبَ الكلَامِ، كما يَنْتَقِي آكلُ التَّمْرِ أطايِبَهُ " (صحيح الترغيب والترهيب:1508)

وأخرج الطبراني أيضا من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَامًا يَوْمَ القِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِم النُّورُ عَلَى مَنَابِرَ اللُّؤْلُؤ يَغْبِطَهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بأنبيَاء، وَلا شُهَدَاءَ". قال: فَجِثَا أعرَابِي عَلى رُكْبَتيهِ، فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حِلَّهُمْ لَنا نعْرِفْهُمْ؟ قالَ:" هُمُ المُتَحَابُّون فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكر الله يَذْكُرُونَهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب:1509)

والناس بالنسبة للذكر صنفان: صنف يذكر الله ومقصده اكتساب الأجور، وآخر يذكر الله ومقصده القرب والحضور، وما بين الصنفين كما بين السماء والأرض، ففارق بين من

1– جِماعٌ بضم الجيم، وتشديد الميم، أي: أخلاط من قبائل شتى، ومواضع مختلفة ونوازع جمع نازع، وهو الغريب؛ ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم، ولا نسب، ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير.

يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يكون من خواص الأحباب عند الملك الوهاب، يغبطهم الناس بمكانتهم.

أخي الحبيب... من خلال ما سبق يظهر لك جليًّا فضل وفوائد الذكر، وهنا تدرك قول النبي ﷺ عندما قال:" سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ". قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ".

فأهل الذكر لهم السبق في الدنيا والآخرة. (رواه مسلم)

أما بالنسبة للاستغفار [1]:

وقبل الحديث عن الاستغفار فلابد أن نعلم أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا معرض للوقوع في الزلل والخطأ والنسيان والعصيان وهذه طبيعة البشر، **وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ ".**

وصدق القائل حيث قال: من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط؟

والجواب: لا أحد.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وحثهم على الاستغفار مهما عظمت الذنوب والأوزار.

وكان أبو ذر ﷺ يقول:" إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار ".

ويقول قتادة–رحمه الله–:" إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار ".

وحقيقة الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى، والمغفرة عندما يطلبها العبد من ربه، يعني يسأله أن يتجاوز عن الذنب، ويمحو ويزيل أثره، فلا يعاقب عليه، ولا يؤاخذ به،

1– هناك رسالة للمؤلف عن" فضل الاستغفار" ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمورٍ.

فمن غُفر ذنبه لم يعاقب عليه، وهذا في حق من تاب من الذنب واستغفر الله منه، ولم يصر عليه.

ولشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار دعا الله تعالى عباده إليه، وحثهم عليه، وحببهم فيه:

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة البقرة:199)

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ (سورة هود:3)

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء:110)

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران: 135،136)

والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وما ذكر فيه الكفاية.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى أنَّهُ قالَ: يا عِبَادِي! إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا،.....يا عِبَادِي! إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ... ".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الشيطانَ قال: وعزّتِكَ يا ربِّ، لا أَبرَحُ أُغوي عِبادَكَ ما دامتْ أَرْواحُهم في أَجْسادِهم، قال الرَّبُّ: وعزَّتي وجَلالي، لا أَزالُ أَغفِرُ لهم ما استَغْفَروني". (صحيح الترغيب والترهيب:1617)

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟".

– وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ ".

– أخرج الحاكم عن البراءِ ﷺ أن رجلًا قال له: يا أبا عمارةَ! قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أهو الرَّجلُ يلقَى العدوَّ فيُقاتلَ حتَّى يُقتلَ؟" قال: لا، ولكن هو الرَّجلُ يُذنِبُ الذَّنبَ فيقولُ: لا يغفرُه اللهُ " (صحيح الترغيب والترهيب:1624)

- تحذير لمن يقنط الناس من رحمة الله:

– أخرج الإمام مسلم من حديث جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث أنَّ رَجُلًا قالَ: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى[1] عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ ".

والاستغفار له فضائل كثيرة وفوائد عظيمة، ومنها:

1– الاستغفار سبب لدفع المصائب ورفع البلايا:

فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (سورة الشوري:30)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (سورة الشوري:30)

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفارًا وتوبة نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله.

– قد رُوي عن علي ﷺ أنه قال:" ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة ".

1– يتألى: يعني: يحلف.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الأنفال:33)

2- طوبى لأهل الاستغفار:

- أخرج ابن ماجه والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن بسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" طوبَى لِمَن وجَدَ في صَحيفَتِه استِغفارًا كثيرًا ". (صحيح ابن ماجه:3078) (صحيح الجامع:3930)

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ، مسيرةُ مائَةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ مِنْ أكْمامِها ". (الصحيحة:1985)

3- الاستغفار ملجأ يفزع إليه المؤمنون عند رؤية الآيات الكونية التي يخوف الله بها عباده:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقامَ النبيُّ ﷺ فَزِعًا، يَخْشَى أنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فأتَى المَسْجِدَ، فَصَلَّى بأَطْوَلِ قِيامٍ ورُكُوعٍ وسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وقالَ: هذِهِ الآياتُ الَّتي يُرْسِلُ اللَّهُ، لا تَكُونُ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ، ولَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ به عِبادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا مِن ذلكَ، فافْزَعُوا إلى ذِكْرِهِ ودُعائِهِ واسْتِغْفارِهِ ".

4- الاستغفار سبب لسعة الرزق وكثرة النسل ونزول الغيث من السماء:

قال تعالى حكاية عن نوح -عليه السلام-: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح:10 – 12)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:260/8" معلقًا على هذه الآيات من سورة نوح: " أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدَرَّ لكم الضَّرْعَ، وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ". اهـ

5- الاستغفار سبب لحصول القوة في البدن وسعة الرزق:

قال هود –عليه السلام– لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود:52)

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود:3)

قال السعدى– رحمه الله– في تفسيره عند هذه الآية:" وقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عن ما صدر منكم من الذنوب **﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** فيما تستقبلوه من أعمالكم، بالرجوع إليه، بالإنابة والرجوع، عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: **﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾** أي يعطيكم من رزقه، ما تتمتعون به، وتنتفعون **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** أي: إلى وقت وفاتكم **﴿وَيُؤْتِ﴾** منكم **﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾** أي يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهونه ". اهـ

6- الاستغفار سبب لسلامة القلب وصفائه ونقائه:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكتتْ[1] في قلبِه نُكْتَةٌ سوداءُ, فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقُل قلبُه, وإن عاد زِيدَ فيها, حتى تَعلوَ قلبَه, وهو الرَّانُ[2] الذي ذكر اللهُ:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة المطففين:14)

(صحيح الجامع:1670) (صحيح الترمذي:2654)

– وفى رواية:" إنَّ المؤمنَ إذا أذنبَ كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبِه فإن تاب ونزع واستغفرَ صقلَ قلبُه فإن زاد زادت فذلك الرَّانُ الذي ذكرَه اللهُ في كتابِه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾".

وهنا نتذكر قول النبي ﷺ وقد مر بنا:" إنَّهُ ليُغانُ على قلبي وإنِّي لأستغفرُ اللَّهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً" (رواه مسلم)

1- النَّكت: الأثر في الشيء.

2- الرانُ: ران على قلبه؛ أي: غطى، وقيل: غلب.

7- من أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار:

فقد أخرج البيهقي في الشعب والضياء في المختارة من حديث الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أحبَّ أن تسُرَّه صحيفته[1] فليكثِرْ من الاستغفار ".

(صحيح الجامع:5955) (الصحيحة:2299) (صحيح الترغيب والترهيب:1619)

8- الاستغفار صدقة تتصدق بها على نفسك:

أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى- فإنَّه يَمْشِي[2] يَومَئِذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ".

فالذنوب تترك آثارًا سيئة وسوادًا على القلب، والاستغفار يمحو الذنب وأثره، ويزيل ما قد علق بالقلب من سواد، وما قد ران عليه من الذنوب.

9- الاستغفار سبيل لنيل رحمة الله تعالى:

قال نبي الله صالح -عليه السلام- لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل:46)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:6 /192عند هذه الآية ":" وفي قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قال مجاهد:" بالعذاب قبل الرحمة[3]، المعنى لمَ تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب، فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب، وقيل: أي لمَ تفعلون ما تستحقون به

1- من أحبَّ أن تسُرَّه صحيفته: يعني عند الاطلاع عليها في يوم الحساب. (تحفة الذاكرين ص 392)

2- قال أبو قلابة: وربما قال:" يمسي ".

3- ورواه الطبري في تفسيره:" جامع البيان 19 / 107".

العقاب؟! لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ أي هلا تتوبون إلى الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا ". اهـ

10- الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران:135، 136)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء:64)

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة المزمل:20)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء:110)

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–:" أخبر الله عباده بحلمه، وعفوه وكرمه، وسعة رحمته، ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم استغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال ". (**تفسير الطبري:476/7**)

وقال شعيب –عليه السلام– لقومه:﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (سورة هود:90)

– أخرج أبو داود والترمذي عن زيد ﷺ مولى النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" من قال: أستغفِرُ اللهَ، الذي لا إله إلا هو، الحَيَّ القيومَ، وأتوبُ إليه؛ غُفِرَ له وإن كان فَرَّ من الزَّحْفِ ". (صحيح أبي داود:1343) (صحيح الترمذي:2831)

قال الشوكاني –رحمه الله–:" وفي الحديث دليل على أن الاستغفار يمحو الذنوب سواء كانت كبائر أو صغائر، فإن الفرار من الزحف من الكبائر بلا خلاف ". (**تحفة الذاكرين ص:532**)

– وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك من حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ أنَّ رَجُلًا أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أحَدُنا

يُذنِبُ، قالَ: يُكتَبُ عليهِ، قالَ: ثمَّ يَستغْفِرُ منه ويَتوبُ؟ قالَ: يُغفَرُ له ويُتابُ عليه، قالَ: فيَعودُ فيُذْنِبُ؟ قالَ: يُكْتَبُ عليهِ، ولا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا ". (قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن)

فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب، فإنه كلما كرر العبد التوبة مستوفيًا شروطها قُبلت منه، أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرة، بل هو سبب من الأسباب التي تُرجى بها المغفرة.

– وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن عمر في قوله تعالى:﴿ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (سورة الإسراء:25) قال:" هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب ".

– وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الشيطانَ قال: وعزّتِكَ يا ربِّ، لا أَبرَحُ أُغوي عِبادَكَ ما دامتْ أَرْواحُهم في أَجْسادِهم، قال الرَّبُّ: وعزَّتي وجَلالي، لا أَزالُ أَغفِرُ لهم ما استَغْفَروني ". (الصحيحة:104) (صحيح الجامع:1650)

– وأخرج البيهقي عن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال لها – في حادثة الإفك:"... إن كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ، فاستغفِري اللهَ، وتُوبِي إليه؛ فإنَّ التَّوبةَ مِن الذَّنْبِ النَّدَمُ والاستغفار ". (صحيح الجامع:1433) (الصحيحة:1208)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عليّ ﷺ قال:" كنتُ رجلًا إذا سَمِعْتُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا نفعَني اللَّهُ منهُ بما شاءَ أن ينفعَني، وإذا حدَّثَني أحدٌ من أصحابِهِ استَحلفتُهُ، فإذا حلَفَ لي صدَّقتُهُ، قالَ: وحدَّثَني أبو بَكْرٍ وصدقَ أبو بَكْرٍ ﷺ، أنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ:" ما مِن عبدٍ يذنبُ ذنبًا، فيُحسنُ الطُّهورَ، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي رَكْعتينِ، ثمَّ يستغفِرُ اللَّهَ، إلَّا غفرَ اللَّهُ لَهُ، ثمَّ قرأَ هذِهِ

الآيةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٥)(صحيح أبي داود: 1346) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢١)

– وفي رواية:" ما مِن رجلٍ يُذْنِبُ ذنبًا، فيتوضَّأُ فيُحسِنُ الوُضوءَ ثمَّ يُصلِّي ركعَتينِ، فيستغفرُ اللهَ عزَّ وجلَّ إلَّا غفرَ لهُ ". (صحيح الجامع: ٥٧٣٨)

11- الاستغفار سبيل للنجاة من عذاب الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)

فالله تعالى لا يعذب مستغفرًا. فقد أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو–رضي الله عنهما– قالَ:" انكسفتِ الشَّمسُ على عَهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يكَدْ يركعُ ثمَّ ركعَ، فلم يكَدْ يرفَعُ ثمَّ رفعَ، فلم يكد يسجدُ ثمَّ سجدَ، فلم يكد يرفعُ ثمَّ رفعَ، فلم يكَد يسجُدُ ثمَّ سجدَ، فلم يكَد يرفعُ ثمَّ رفعَ، وفعلَ في الرَّكعةِ الأخرى مثلَ ذلكَ[1]، ثمَّ نفخَ في آخِرِ سجودِهِ فقالَ:" أُفْ أُفْ[2]"، ثمَّ قالَ:" ربِّ ألم تعِدْني أن لا تعذِّبَهُم وأنا فيهم، ألم تعِدْني أن لا تعذِّبَهُم وهم يستغفِرونَ، ففرغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ من صلاتِهِ وقد أمْحَصَتِ الشَّمسُ[3] ". (صحيح أبي داود: 1055)

وأخرج الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ قال:" كان فيكم أمانانِ، مَضَتْ إحداهما، وبقيَتِ الأُخرى، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: 33).(قال شعيب الأرناؤوط: صحيح)

1- وذكر في روايات أخرى لكن بذكر الركوع مرتين.

2- نفخ النبي ﷺ في سجوده في الكسوف أخرجه البخاري معلقًا بصيغة التضعيف.

3- أمحصت الشمس: أي ظهرت من الكسوف وانجلت، وأصل المَحْص: التخليص. (النهاية:4/ ٣٠٢).

وفي هذا الأثر يُبيِّنُ أبو هريرة ﷺ سُبُلَ النجاةِ للناسِ منَ العَذابِ، فيقولُ:" **كان فيكم أمانانِ**"، وهما سَببانِ يَحْميانِ الأُمَّةَ منَ الوُقوعِ في الفِتَنِ والشرورِ، والوُقوعِ في غضَبِ اللهِ، ودائمًا يكونا مَلاذًا لصاحِبِهما، "مضَتْ إحْداهما وبَقيَتِ الأُخرى، وهما مَجْموعانِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (**الأنفال: 33**)، والمعنى: ما يمنَعُ عذابَ الناسِ على العُمومِ عذابَ استِئْصالٍ إلَّا وجودُ أمرَيْنِ، وهما: وجودُ النبيِّ ﷺ على قَيدِ الحَياةِ، والثاني استغفارُ المؤمنينَ لذُنوبِهم، واستِغفارُهم لغيرِهم، فلمَّا تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ جاءتِ الفِتَنُ، وعظُمَتِ المِحَنُ، وظهَرَ الكُفرُ والنِّفاقُ، وكثُرَ الخِلافُ والشقاقُ، وبَقيَ للناسِ الاستغفار وطلَبُ العَفوِ والمغفرةِ منَ اللهِ؛ فهو الأمانُ الآخَرُ لمن أرادَ النجاةَ منَ العذابِ، وهو الأمانُ لكلِّ الناسِ من الاستِئْصالِ بالعذابِ، وهذا يدُلُّ على أهميَّةِ الاستغفار، والتوَجُّهِ إلى اللهِ سُبحانَه به.

وأخْرَجَ الإمام أحْمَدُ عَنْ فَضالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ:" العَبْدُ آمِنٌ مِن عَذابِ اللَّهِ[1] ما اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ". (الدر المنثور لجلال الدين السيوطي)

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى –فإنَّه يَمْشِي[2] يَومَئذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" يا مَعْشَرَ النِّساءِ، تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفار، فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ منهنَّ جَزْلَةٌ[3]: وما لنا يا رَسولَ اللهِ، أكْثَرُ أهْلِ النَّارِ؟ قالَ: تُكْثِرْنَ

1– وعذاب الله يشمل الظاهر منه والباطن، ما كان منه في الآخرة، وما كان منه في الدنيا، مثل إذاقة الناس بعضهم بأس بعض، وغير ذلك مما يقع وقت الفرقة والفتن.

2 – قال أبو توبة: وربما قال:" يمسي ".

3– جزلةٌ: ذات عقل ورأي.

اللَّعْنَ، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وما رَأَيْتُ مِن ناقِصاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ[1] مِنْكُنَّ قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، وما نُقْصانُ العَقْلِ والدِّينِ؟ قالَ: أمَّا نُقْصانُ العَقْلِ: فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهادَةَ رَجُلٍ فَهذا نُقْصانُ العَقْلِ، وتَمْكُثُ اللَّيالِيَ ما تُصَلِّي، وتُفْطِرُ في رَمَضانَ فَهذا نُقْصانُ الدِّينِ.

الشاهد قول النبي ﷺ:" تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفار، فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ ".

ففي هذا دليل على أن الصدقة، وكثرة الاستغفار؛ وقاية من النار ومن عذاب الله.

12- الاستغفار سبب لدخول الجنة:

ذكر رب العالمين في كتابه الكريم أن الجنة مآل أهل التقوى والإيمان، لهم فيها ما يشتهون.

فقال تعالى: ﴿... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ **ثم ذكر أوصافهم فقال تعالى:** ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ **(آل عمران:15-17)**

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أَوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ **(آل عمران: ١٣٣ – ١٣٦)**

وأخرج البخاري من حديث شداد بن أوس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:" سَيِّدُ الاستغفار[2] أَن يَقُول العبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إله إلَّا أنتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنَا

1- اللب: العقل، والمراد هنا كمال العقل.

2- السيد هو الذي يفوق في الخير قومه، ويرتفع عليهم، وإنما استحق هذا الدعاء وصف "السيد" لأنه فاضل، والفاضل سيد المفضول، وهذا الدعاء قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع

عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوء بذنبي، فاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ". من قالها من النَّهَارِ مُوقِنًا بها، فمات من يومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ الليل وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ".

13- الاستغفار سبب لرفع الدرجات:

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّى هذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ ".

مِن رحمةِ اللهِ سبحانه وفضْلِه أن جعَلَ أسبابًا كثيرةً لرَفْعِ الدَّرَجاتِ وغُفرانِ الذُّنوبِ، ومِن ذلك أنَّه جعَل استِغفارَ الولَدِ لوالِدَيهِ سبَبًا لرَفْعِ درَجتِهما في الجَنَّةِ.

الوصية الخامسة: احرص على عمرة في رمضان:

العمرة عمومًا طوال العام مستحبة، ولها فضل كبير وأجر عظيم:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما...".

قال النووي-رحمه الله- في" شرحه على مسلم:117/9":" هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين ". اهـ

ولذلك يستحب الإكثار من العمرة:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعودﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1105) (صحيح الجامع:2901)

عليها، (انظر نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار" للعلامة السفاريني- وانظر أيضًا مدارج السالكين: ١/ ٢٢٢).

– وفي رواية عند الطبراني في الأوسط من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد ". (الصحيحة: 1085) (صحيح الجامع: 253)

قال المباركفوري–رحمه الله– في" تحفة الأحوذي:3/454":" فإنهما ينفيان الفقر: أي يزيلانه، وهو يحتمل الفقر الظاهر بحصول غنى اليد، والفقر الباطن بحصول غنى القلب ".

اهـ

- **الأجر في العمرة والحج يكون بقدر التعب والإنفاق.**

– فقد أخرج الحاكم في المستدرك من حديث عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها: " إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك ". (صحيح الجامع: 2160)

– وفي رواية:" إنما أجرك في عمرتك على قدر نفقتك ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1116)

لكن العمرة في رمضان يتعاظم فضلها حيث تعدل في الأجر؛ أجر حجة مع النبي ﷺ:

– فقد أخرج البخاري من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" عمرة في رمضان تعدل حجة ".

– وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما–: أَنَّ رسول الله ﷺ قال لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ:"مَا مَنَعَكِ أَنْ تَكُونِي حَجَجْتِ مَعَنَا؟" قَالَتْ: نَاضِحَانِ [1] كَانَا لِأَبِي فُلَانٍ – زَوْجِهَا – حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخَرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامُنَا(أرضا لنا)، فقالَ النبي ﷺ:" فإن عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً ". أَوْ قال:" حَجَّةً مَعِي ".

1– ناضحان: والناضح هو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستسقى عليه، لكن المراد به في هذا الحديث هو البعير، لتصريحه في رواية أبي داود بكونه جملا. (فتح الباري:3/604)

– وفي لفظ مسلم:" فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرةً فيه تعدل حجة ".

فالنبي ﷺ أعلم أمَّ سنان أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، وهذا الحديث فضل من الله ونعمة على عبده المؤمن، وفيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب، وبخلوص القصد ".

(انظر فتح الباري لابن حجر: 604/3) (شرح مسلم للنووي:122/9)

– وأخرج أبو داود من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: أراد رسول الله ﷺ الحج فقالت امرأة لزوجها أحْججْني مع رسول الله ﷺ، فقال: ما عندي ما أحجك عليه، فقالت: أحْججْني علي جملك فلان، قال: ذاك حبيس في سبيل الله ﷻ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي تقرأ عليك السلام ورحمة الله، وإنها سألتني الحج معك فقلت: ما عندي ما أحجك عليه، قالت: أحججني على جملك فلان، فقلت: ذاك حبيس في سبيل الله، فقال:" أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله " قال: وإنها أمرتني أن أسألك ما يعدل حجة معك؟ قال رسول الله ﷺ:" أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته، وأخبرها أنها تعدل حجة معي عمرةٌ في رمضان ". (صحيح الترغيب: 1117) (صحيح أبي داود: 1753)

– وفي رواية عند سمويه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" عمرة في رمضان كحجة معي ". (صحيح الجامع: 4098)

– وأخرج البزار والطبراني من حديث أبي طليق ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: فما يعدل الحج معك قال؟:" عمرة في رمضان ". (إسناده جيد)

– وأخرج ابن حبان من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: حج أبو طلحة وابنه وتركاني، فقال:" يا أم سليم عمرة في رمضان تعدل حجة معي". (صحيح الترغيب: 1118)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أم معقل –رضي الله عنها–: أنها قالت: يا رسول الله! إني امرأة قد كبرت وسَقِمْتُ فهل من عمل يجزي عني من حجتي؟ قال:" عمرة في رمضان تعدل حجة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: 1120) (صحيح أبي داود: 1751)

– وفي رواية عند أبي داود أيضًا عن أم معقل –رضي الله عنها– قالت:" لمَّا حجَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ حجَّةَ الوداعِ وَكانَ لَنا جملٌ فجعلَهُ أبو معقلٍ في سبيلِ اللَّهِ فأصابَنا مرضٌ، وَهَلَكَ أبو مَعقلٍ وخرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فلمَّا فرغَ جئتُهُ، فقالَ:" ما منعَكِ أن تخرجي معَنا؟ فقالت: لقد تَهَيَّأنا فَهَلَكَ أبو مَعقلٍ وَكانَ لَنا جملٌ هوَ الَّذي يحجُّ عليهِ فأوصَى بِهِ أبو مَعقلٍ في سبيلِ اللَّهِ، قالَ:" فَهَلَّا خرجتِ عليهِ فإنَّ الحجَّ في سبيلِ اللَّهِ، فأمَّا إذا فاتتكِ هذِهِ الحجَّةُ معَنا، فاعتَمري في رمضانَ فإنَّها كحجَّةٍ ". (صحيح أبي داود: 1752)

– وأخرج البزار والطبراني في الكبير عن أبي طليق ﷺ أن امرأته قالت له، وله جمل وناقة: أعطني جملك أحج عليه، قال: هو حبس في سبيل الله، قالت: إنه في سبيل الله أن أحج عليه. قالت: فأعطني الناقة وحج على جملك، قال: لا أوثر على نفسي أحدًا، قالت: فأعطني من نفقتك، قال: ما عندي فضل عن ما أخرج به وأدع لكم، ولو كان معي لأعطيتك، قالت: فإذا فعلت ما فعلت فأقرئ رسول الله ﷺ السلام إذا لقيته، وقل له الذي قلت لك، فلما لقي رسول الله ﷺ أقرأه منها السلام، وأخبره بالذي قالت له، فقال رسول الله ﷺ:.... صدقت أم طليق، لو أعطيتها جملك كان في سبيل الله، ولو أعطيتها من نفقتك أخلفها الله لك " قلت: فما يعدل الحج معك، قال: عمرة في رمضان ". (السلسلة الصحيحة: 3069)

وقال المناوي–رحمه الله– في فيض القدير:361/4: وقول النبي ﷺ:" عمرة في رمضان تقضي حجة " أي تقابلها وتماثلها في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع ". اهـ

وقال ابن العربي–رحمه الله– وهو من أئمة المالكية: في الحديث السابق: وفي هذا فضل من الله ونعمة، فقد نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها ". اهـ بتصرف

واعلم أخي الحبيب... إن هذه المنح والعطايا والعبادات رزق يرزقه الله لمن يشاء من عباده، وهم الذين طهرت قلوبهم على الإيمان بالله، واستقامت أبدانهم على متابعة رسول الله ﷺ وأحبوا طاعة الله فأكرمهم الله تعالى بفضله. **وهناك صنف من الناس أهانهم الله بعدله**: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (الحج:18)

فأُحذِّر نفسي وإياكم أن نكون من هذا الصنف.

فاللهم أكْرِمنا ولا تهنَّا.. وأعطنا ولا تحرمنا.. وانصرنا ولا تنصر علينا.. واهدنا ويسِّر الهُدى إلينا.. واغفر لنا ولآبائنا وللمسلمين أجمعين.. وبلغنا هذه الأيام المباركة لأعوام عديدة، وأزمنة مديدة، ونحن سالمين غانمين، واجعلنا فيها من الطائعين.. اللهم إن الفضل منك ابتداءً والحمد لك انتهاءً على ما وفقتنا وهديتنا.. أنت ولينا في الدنيا والآخرة. أحينا طيبين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين.. وأسألُ الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك